الطبعة الثانية

رسائل من نور

إلى أهل المصائب والبلاء

الشيخ الدكتور
سامي بن محمود العريدي

تقديم الشيخ الدكتور هاني السباعي



بيت المقدس



1447 هـ 2026 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

رسائل من نور

إلى أهل المصائب والبلاء

الشيخ الدكتور

سامي بن محمود العريدي

تقديم

الشيخ الدكتور هاني السباعي

الطبعة الثانية

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الشيخ الدكتور هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد.

وصل إلى العبد الضعيف كتاب من أهل ذروة الإسلام بعنوان **رسائل من نور إلى أهل المصائب والبلاء**، للأخ الشيخ الفاضل الدكتور سامي العريدي -حفظه الله تعالى-، لكي أكتب مقدمة لهذه الرسائل النورانية. وما كان ينبغي على عبد فقير مثلي إلا أن يمتثل لطلب هؤلاء الأفاضل الذين يرابطون في الأراضي المباركة حررها الله تعالى وسائر بلاد المسلمين من طواغيت العرب والعجم.

أقول مستعيناً بالله تعالى:

الابتلاء في حد ذاته رحمة من رب العالمين، ظاهره كره ومشقة، وباطنه وثمرته رحمة وخير عميم. ﴿**فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا**﴾ [النساء: ١٩].

الابتلاء والصبر متلازمان للفوز برضا الله تعالى، وكذلك الجهاد في سبيل الله والصبر متلازمان للفوز بثمرة الدنيا والآخرة: إما النصر والتمكين في الدنيا، وإما جنات النعيم يوم القيامة، أو بكليهما معاً.

فالمؤمن كلما اشتد عوده الإيماني زيد في ابتلائه، وتعرض للمحن والمصائب؛ بغية أن يكون قادرا على حمل رسـالة التوحيد التي تحتاج إلى ذروة سـنام الإسـلام؛ أعظم العبادات بعد توحيد الله تعالى.

لن يتم نشـر الدعوة بحق، والحفاظ عليها بحق، والذود عن الإسـلام في كافة المناحي الحياتية بحق إلا بذروة سنام الإسلام!

بالطبع هذا طريق شائك وعر، لا يلجه إلا أصحاب العقيدة الصافية، الذين زادهم الصـبر على المكاره، وما اسـتطاعوا من إعداده من قوة مادية ومعنوية. قال تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما اسـتطعتم من قوة**﴾ [الأنفال: ٦٠].. وقوله سـبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

إذن يحتاج من سلك طريق ذروة سنام الإسلام: إعداد القوة اللازمة قدر المستطاع، وفي نفس الوقت التحلي والتخلق بالصبر ليكون من المفلحين.

فليعلم المسـلم المخبت المذعن لله رب العالمين ولا سـيما أهل ذروة سـنام الإسـلام؛ أن طريق الحق مر، وكره، وصـعب وشـاق؛ لكنه خير وفلاح في الدنيا والآخرة لمن التزم وصبر: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦].

لقد طوّف الدكتور العريدي برسائل النور في كتابه حول؛ الابتلاء والصبر في حياة المسلم؛ ابتلاء في النفس والأهل، ابتلاء في المال، ابتلاء بالكوارث العامة والطواعين، ابتلاء بالشبهات والشهوات، ابتلاء بعلو الباطل، ابتلاء بالجهاد. فكل هذه الابتلاءات تحتاج إلى الصبر؛ فهو ترياق شاف، وزاد نافع، للتحصن من الضغط تحت قهر الواقع المرير، والتضعضع والانكسار تحت مطارق الفتن والمحن، وتراكم الابتلاءات، وما أكثرها في حياة المسلم! ولا سيما أهل ذروة سنام الإسلام!

أرى أن أحوج الناس لمثل هذه الرسائل النورانية هم أهل ذروة سنام الإسلام؛ فالمجاهد ليس قطعة فولاذ لا مشاعر له! فهذا المعتز بدينه الذي بذل نفسه رخيصة لله تعالى؛ تتقاذفه أمواج متلاطمة من الفتن، يمشي على أشواك من المصائب، ويسير على ألغام من المكاره، تحيط به عواصف من المؤامرات! يتقلب من محنة إلى أخرى! فتن تجعل الحليم حيراناً!

فإذا لم يكن هذا المجاهد في سبيل الله وحده متزوداً بالصبر؛ فإنه سرعان ما يسقط في حمأة الخذلان، ويرجع القهقرى وينسحق تحت الضربات المكرورة للباطل وحزبه! فالصبر ينقي ويصقل المجاهد كما تصقل النار الأحجار النفيسة تصداقاً لقول شوقي:

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا   ولم يهن بيد التشتيت غالينا
ولا يحول لنا صبغ ولا خلق   إذا تلون كالحرباء شانينا

فالمسلم يتقلب بين سراء وضراء، بين نصر وهزيمة! فلا بد من التزود بالصبر!

هكذا الدنيا:

فيوم علينا ويوم لنا   ويوم نساء ويوم نسر

وأفضـــــل من ســـبر غور هـذه الحـالـة العلامـة ابن القيم –رحمـه الله– في الزاد: (إن النفوس تكتســب من العافية الدائمة والنصــر والغنى طغياناً وركوناً إلى العاجلة، وذلك مرض يعوقها عن جدّها في ســـيرها إلى الله والدارِ الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومـالكهَا وراحمهـا كرامته، قيَّض لهـا من الابتلاء والامتحـان مـا يكون دواء لـذلـك المرض العائق عن السير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقى العليلَ الدواءَ الكريه، ويقطع منه العروقَ المؤلمةَ لاســـتخراج الأدواء منه ، ولو تركه، لَغَلَبَتْهُ الأدواءُ حتى يكون فيها هلاكه.) أهـ.

أقول هذه الرســـائل النورانية للمؤلف، قبس من مشـــكاة أنوار آي الذكر الحكيم، وقبس النبوة المباركة من صـحيح السـنة، ومن أقوال منيرة لعلماء السـلف والخلف! إنها رسـائل تقطر تصـبيراً، وعظة، وشـفقة، وتأسـياً، وتسـلية، ومواسـاة للمبتلين ولا سيما أهل ذروة سنام الإسلام.

فعلى أية حال أترك القارئ الكريم ليعيش مع هذه الرسائل النورانية، وليستمتع بالقراءة والاستفادة من هذا الكتاب. جعله الله في ميزان حسنات مؤلفه الشيخ الدكتور سامي العريدي. جزاه الله الخير العميم في الدنيا والآخرة، وثبتنا الله وإياه وإياكم على الحق.

د. هاني السباعي

تاريخ ١٦ ربيع الأول ١٤٤٥هـ - ٢ أكتوبر ٢٠٢٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد والأنبياء والرسل أجمعين، أما بعد:

فما من أحد إلا تغشاه لحظات من العسر ويمر بمحطات من الابتلاء يكون فيها بحاجة ماسة بعد الاستغاثة والاستعانة بالله إلى نصيحة من أخ أو حبيب ترشده أو تهون عليه ما هو فيه.. فرب نصيحة من قلب صادق وشخص مجرب ينقذ الله بها بعض أهل الابتلاء من شديد التعب وجهد البلاء وسيء الأفكار والظنون..

فنحن نعيش في زمان كَثُرت فيه الفتن والابتلاءات والمصائب والحروب والقتل والزلازل والكوارث التي حلت في ديار أهل الإسلام، وانتشرت فيه الأمراض البدنية والنفسية والاكتئاب وضيق الحال انتشارا واسعا، وكَثُر فيه محاربة وتشويه أحكام الشريعة والطعن في الملتزمين بها، وكَثُر فيه المنتكسون على أعقابهم والمبدلون والتاركون لمبادئهم والثوابت -والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله-..

فأصبح العبد المتمسك بأحكام الشريعة الثابت على المبادئ الصابر على البلاء والمصائب في هذا الزمان كالقابض على الجمر، ويعيش في غربة بين الناس كما أخبر بذلك النبي ﷺ: «بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا. فطوبى للغرباء». رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ». رواه الترمذي وصححه الألباني.

وأصبح النصح والكتابة عن الأمور التي تبعث روح اليقين وتجدد الإيمان في قلوب العباد وتثبتهم وتبصرهم في الحكم الربانية من هذه الأحداث والابتلاءات من الأمور المهمات في زمن انتشر فيه أهل الضلال والإلحاد والفساد يشككون المسلمين في دينهم وينشرون الفتن والشبهات التي تؤثر في ضعاف الإيمان نسأل الله العافية والثبات..

وإذ كان الأمر كما ذكرت أحببت أن أسطر هذه المجموعة من الرسائل التي تحتوي على خواطر وفوائد ونصائح مستنبطة من نصوص الوحي الشريف وكلام أهل العلم في هذا الباب.. فخير الكلام والنصح ما كان مستفادا من نصوص الوحي ثم من كلام ونصح العلماء الربانيين الذين عاشوا مع نور الوحي في مختلف أحوالهم في السراء والضراء والنعمة والبلاء فأصبحت كلماتهم ونصائحهم ومواعظهم تدور في ظلال أنوار الوحي الشريف..

أذكر بهذه الكلمات والنصائح نفسي وأحبتي وأهل الابتلاء عملا بقول الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾؛ ولما رواه الإمام مسلم -رحمه الله-: عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ».

وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل في هذه الكلمات والنصائح والرسائل النور العظيم والأثر المبارك في كشف كرب وبلاء من يقرأها من أهل الابتلاء وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبلها وينفعنا بها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

د. سامي بن محمود العريدي

ربيع الأول من عام ١٤٤٥هـ

رسالة من نور:

الدنيا دار ابتلاء

إن مما ينبغي أن يعلمه العبد المؤمن حق العلم ويستيقنه حق اليقين أن الله خلقه في هذه الحياة الدنيا لعبادته في مختلف أحواله وظروفه قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

وأن الله يبتلي العباد بالسراء والضراء ليقوموا بعبوديته في مختلف الأحوال قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فما على العبد إلا أن يلتزم أحكام العبودية لله وأن يصبر على الابتلاء بالخير والشر في كل ظرف يمر به حتى ينتهي به المطاف إلى الوقوف بين يدي ربه تبارك وتعالى وقد أحسن العمل في السراء والضراء قال الله تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ١-٢].

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في التفسير: (﴿**وخلق الموت والحياة**﴾ أي: قدر لعباده أن يحييهم ثم يميتهم؛ ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا**﴾ أي: أخلصه وأصوبه، فإن الله خلق عباده، وأخرجهم لهذه الدار، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارضة لأمره، فمن انقاد لأمر الله وأحسن

العمل، أحسن الله له الجزاء في الدارين، ومن مال مع شهوات النفس، ونبذ أمر الله، فله شر الجزاء.)

وقال الله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [الإنسان: ٢].

قال العلامة ابن عاشور -رحمه الله- في التحرير والتنوير: (وجملة نبتليه في موضع الحال من الإنسان وهي حال مقدرة، أي مريدين ابتلاءه في المستقبل، أي بعد بلوغه طور العقل والتكليف، وهذه الحال كقولهم: مررت برجل معه صقر صائدا به غدا.

وقد وقعت هذه الحال معترضة بين جملة خلقنا وبين فجعلناه سميعا بصيرا لأن الابتلاء، أي التكليف الذي يظهر به امتثاله أو عصيانه إنما يكون بعد هدايته إلى سبيل الخير، فكان مقتضى الظاهر أن يقع نبتليه بعد جملة إنا هديناه السبيل، ولكنه قدم للاهتمام بهذا الابتلاء الذي هو سبب السعادة والشقاوة.)

فما من محطة من محطات الابتلاء إلا ويريد الله من العبد أن يظهر الانقياد لأمره والقيام بعبودتيه على الوجه الذي شرعه له فيها.. ولا يوفق لذلك إلا من وفقه الله وقذف في قلبه نور اليقين والرضا عن الله ورزقه الاستسلام والعبودية له.. قال ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد: (ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا

على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.)

فالابتلاء سنة من سنن الله في الخلق يمحص به العباد فكما قيل: الناس ما داموا في عافية فهم مستورون فإذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه، وصار المنافق إلى نفاقه. وفي ذلك يقول الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– في صيد الخاطر: (فأما من يريد أن تدوم له السلامة، والنصر على من يعاديه، والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف، ولا فهم التسليم.

أليس الرسول ﷺ ينصر يوم بدر، ثم يجري عليه ما جرى يوم أحد؟! أليس يصد عن البيت ثم قهر بعد ذلك؟!

فلا بد من جيد ورديء، والجيد يوجب الشكر، والرديء يحرك إلى السؤال والدعاء؛ فإن امتنع الجواب، أريد نفوذ البلاء، والتسليم للقضاء.

وها هنا يبين الإيمان، ويظهر في التسليم جواهر الرجال. فإن تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا، فذلك شأن الكامل. وإن وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضي –فإن الطبع لا بد أن ينفر من المؤذي؛ دل على ضعف المعرفة، فإن خرج الأمر إلى الاعتراض باللسان، فتلك حال الجهال، نعوذ بالله منها.)

رسالة من نور:

المبتلي هو أرحم الراحمين

إن العبد المؤمن إذا نزل به الابتلاء فينبغي أن يعلم ويستيقن أنه ما نزل إلا بقدر الله وإذنه وهو أرحم الراحمين وهو الحكيم العليم فما نزل إلا لحكمة عظيمة علمها العبد أو جهلها.. فما علينا إلا أن نسلم لأمره ونرضى بقدره.. فمن سلم الأمر لله ورضي بقدره هدى الله قلبه وشرح صدره كما قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن: ١١]..

وليعلم العبد المحب لربه أن ما اختاره الله له خير له مما يريده لنفسه قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في طريق الهجرتين: (ومعنى النفوذ إليه أن يتصل به قلبه ويتعلق به تعلق المحب تام المحبة بمحبوبه فيسلو به عن جميع المطالب سواه فلا يبقى في قلبه إلا محبة الله وأمره وطلب التقريب إليه..

فإذا سلك العبد على هذا الطريق عطف عليه ربه فقربه واصطفاه وأخذ بقلبه إليه وتولاه في جميع أموره في معاشه ودينه وتولي تربيته أحسن وأبلغ مما يربي الوالد الشفيق ولده فإنه سبحانه القيوم المقيم لكل شيء من المخلوقات طائعها وعاصيها فكيف تكون قيوميته بمن أحبه وتولاه وآثره على ما سواه ورضي به من دون الناس حبيبا وربا ووكيلا وناصرا ومعينا وهاديا..

فلو كشف الغطاء عن ألطافه به وبره وصنعه له من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم لذاب قلبه محبة له وشوقا إليه ويقع شكرا له.. ولكن حجب القلوب عن مشاهدة

ذلك إخلادها إلى عالم الشـــهوات والتعلق بالأســـباب فصـــدت عن كمال نعيمها وذلك تقدير العزيز العليم وإلا فأي قلب يذوق حلاوة معرفة الله ومحبته ثم يركن إلى غيره ويسكن إلى ما سواه هذا ما لا يكون أبدا..

ومن ذاق شـيئا من ذلك وعرف طريقا موصــلة إلى الله ثم تركها وأقبل على إراداته وراحاته وشهواته ولذاته وقع في آبار المعاطب وأودع قلبه سجون المضايق وعذب في حياته عذابا لم يعذب به أحد من العالمين فحياته عجز وغم وحزن وموته كمد وحسرة ومعاده أسف وندامة قد فرط عليه أمره وشتت عليه شمله وأحضرت نفسه الغموم والأحزان فلا لذة الجاهلين ولا راحة العارفين.)

وهذا التســليم لأمر الله وقدره من أرفع درجات الإيمان التي يحبها الله والتي لا يصــل إليها العبد إلا بتوفيق الله ورحمته حتى يعلمه ويفقهه في الدين فيعلم أننا: (ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالنا من حكمة الله في خلقه وأمره لزاد ذلك على عشرة آلاف موضـع مع قصـور أذهاننا ونقص عقولنا ومعارفنا وتلاشـيها وتلاشـي علوم الخلائق جميعهم في علم الله كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك)، انظر شـــفاء العليل في مســـائل القضـــاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم.

ومن موجبات هذه المعرفة والإيمان بأن المبتلي بما ينزل من ابتلاء هو الله أرحم الراحمين أنه: (إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد:

- أحدها: مشهد التوحيد وأن الله هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن.
- الثاني: مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه.
- الثالث: مشهد الرحمة وأن رحمته في هذا المقدور غالبه لغضبه وانتقامه ورحمته.
- الرابع: مشهد الحكمة وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك لم يقدره سدى ولا قضاه عبثا.
- الخامس: مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه.
- السادس: مشهد العبودية وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه.) انظر الفوائد لابن القيم.

ومن خير ما يتذكره العبد في هذا الباب أن الله تبارك وتعالى قد حرم الظلم على نفسه قبل أن يحرمه على عباده فما يجري من أقدار في هذا الكون فهي من كمال رحمته وحكمته وعدله فكل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [يونس: ٤٤].

وفي الصحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تبارك وتعالى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي

أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَـرِّي فَتَضُـرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَـــكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَـيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْـــأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

ومن كلمات ورسائل النور التي قيلت في هذا المعنى ما سطره شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: (وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ مِنْ رَحْمَةٍ وَنَفْعٍ وَمَصْلَحَةٍ فَهُوَ مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى وَمَا فِي الْوُجُودِ مِنْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ عَدْلِهِ فَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْـــلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ كَمَا فِي الصَّـــحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَمِينُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُـــهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْـــطُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»، فَأَخْبَرَ أَنَّ يَدَهُ الْيُمْنَى فِيهَا الْإِحْسَـــانُ إلَى الْخَلْقِ وَيَدَهُ الْأُخْرَى فِيهَا الْعَدْلُ وَالْمِيزَانُ الَّذِي بِهِ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ فَخَفْضُهُ وَرَفْعُهُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ إلَى خَلْقِهِ مِنْ فَضْلِهِ.)

وفي رسائل هذا الكتاب مزيد بيان وتقرير لهذا الأصل العظيم –بإذن الله–.

رسالة من نور:

قال رسول الله ﷺ: «قال الله عز وجل:
أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني»

إن حسن الظن بالله من شعب الإيمان العظيمة التي يتصف بها أولياء الله وعباده الصالحون في أحوالهم كلها فهو من أعظم أبواب السعادة والفوز في الدنيا والآخرة كما أن سوء الظن بالله من صفات الكفار والمنافقين والفساق وهو من أعظم سباب الشقاء والخسران في الدنيا والآخرة -نعوذ بالله من حال أهل النار- قال الله تعالى: ﴿**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [فصلت: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً**﴾ [الفتح: ٦].

وعن حيان أبي النضر قال: خرجت عائدا ليزيد بن الأسود، فلقيت واثلة بن الأسقع وهو يريد عيادته، فدخلنا عليه، فلما رأى واثلة بسط يده، وجعل يشير إليه، فأقبل واثلة حتى جلس، فأخذ يزيد بكفي واثلة، فجعلهما على وجهه، فقال له واثلة: كيف ظنك بالله؟ قال: ظني بالله والله حسن، قال: فأبشر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله جل وعلا: أنا عند ظن عبدي بي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله». رواه ابن حبان وصححه الألباني.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «إن حُسن الظن من حُسن العبادة». رواه الإمام أحمد وصححه أحمد شاكر.

ومدخل حسن الظن بالله هو حسن الإيمان والمعرفة به وأنه أرحم بعبده من نفسه التي بين جنبيه وأقرب الناس إليه، فيحبه ويسلم الأمر له ولا يتهمه بأمر قدره وقضاه له فعن عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله، وحج مبرور».

فلما ولى الرجل قال: «وأهون عليك من ذلك إطعام الطعام، ولين الكلام، وحسن الخلق».

فلما ولى قال: «وأهون عليك من ذلك، لا تتهم الله على شيء قضاه عليك». رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني.

وأعظم أبواب حسن الظن بالله إحسان الاعتقاد به فيعتقد العبد أن ما يقدره الله لعبده مبناه على الحكمة والرحمة والعدل والعلم.. وأن ما يقدره لعبده المؤمن كله خير ففي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له».

وقد صح من أدعية استفتاح الصلاة قوله ﷺ :«وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا، وما أنا من المشركين، إن صلاتي، ونسكي، ومحياي،

ومماتي لله رب العالمين، لا شــريك له، وبذلك أمرت وأنا من المســلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحســن الأخلاق لا يهدي لأحســنها إلا أنت، واصــرف عني سـيئها لا يصــرف عني سـيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك».

فالشــر لا ينســب إلى الله في أسمائه وصــفاته وأفعاله ســبحانه وتعالى عن ذلك.. فالشر ليس إليه ولكن: (الشَّرُّ الْمَخْلُوقُ لَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ مُجَرَّدًا عَنِ الْخَيْرِ قَطُّ، وَإِنَّمَا يُذْكَرُ عَلَى أَحَدِ وُجُوهٍ ثَلَاثَةٍ:

إِمَّا مَعَ إِضَافَتِهِ إِلَى الْمَخْلُوقِ، كَقَوْلِهِ: ﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ [الْفَلَقِ: ٢]..

وَإِمَّا مَعَ حَذْفِ الْفَاعِلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَـرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَـــدًا**﴾ [الْجِنِّ: ١٠].. وَمِنْهُ فِي الْفَاتِحَةِ: ﴿**صِـــرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُـوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّـالِّينَ**﴾ [الْفَاتِحَةِ: ٧]، فَذَكَرَ الْإِنْعَامَ مُضَـافًا إِلَيْهِ، وَذَكَرَ الْغَضَبَ مَحْذُوفًا فَاعِلُهُ، وَذَكَرَ الضَّلَالَ مُضَافًا إِلَى الْعَبْدِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشُّعَرَاءِ: ٨٠]..

وَإِمَّا أَنْ يَدْخُلَ فِي الْعُمُومِ كَقَوْلِهِ: ﴿**خَالِقُ كُلِّ شَـــيْءٍ**﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٠٢].. وَلِهَذَا إِذَا ذُكِرَ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ قُرِنَ بِالْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْــنَى: الضَّـــارُّ، النَّافِعُ، الْمُعْطِي، الْمَـانِعُ، الْخَـافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُـذِلُّ، فَجَمَعَ بَيْنَ الِاسْمَيْنِ لِمَـا فِيـهِ مِنَ الْعُمُومِ

وَالشُّـــمُولُ الدَّالُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ يَفْعَلُ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَشْــيَاءِ.. وَلِهَذَا لَا يُدْعَى بِأَحَدِ الِاسْمَيْنِ: كَالضَّـــارِّ، وَالنَّافِعِ، وَالْخَافِضِ، وَالرَّافِعِ، بَلْ يُذْكَرَانِ جَمِيعًا. وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْـــلًا، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلًا.) انظر منهاج الســـنة النبوية لابن تيمية.

ومن حســـن الظن بالله الاجتهاد في طاعته والإلحاح عليه بالدعاء قال الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– في كشــف المشــكل من حديث الصــحيحين: (اعْلَم أَن صـــدق رَجَاء الْمُؤمن لفضـــل الله عز وَجل وجوده يُوجب حســـن الظَّن بِهِ، وَلَيْسَ حسن الظَّن بِهِ مَا يَعْتَقِدهُ الْجُهَّال من الرَّجَاء مَعَ الْإِصْرَار على الْمعاصِي، وَإِنَّمَا مثلهم فِي ذَلِك كَمثل من رجا حصادا وَمَا زرع، أَو ولدا وَمَا نكح.

وَإِنَّمَا الْعَارِف بِاللَّه عز وَجل يَتُوب ويرجو الْقبُول، ويطيع ويرجو الثَّوَاب. أخبرنَا مُحَمَّد بن نَاصِـــر قَالَ: أخبرنَا الْمُبَارك بن عبد الْجَبَّار قَالَ: أَنبأَنَا عبد الْعَزِيز بن عَليّ قَالَ: سَمِعت أَبَا بكر مُحَمَّد بن أَحْمد الْمُفِيد يَقُول: حَدثنَا الْحسـن بن إِسْمَاعِيل قَالَ: حَدثنَا عبد الرَّحْمَن بن إِبْرَاهِيم الفِهري عَن أَبِيه عَن الْحســـن قَالَ: إِن قوما ألهتهم أماني الْمَغْفِرَة حَتَّى خَرجُوا من الدُّنْيَا وَلَيْسَــت لَهُم حَسَــنَة، يَقُول: إِنِّي لحســن الظَّن بربي، وَكذب، لَو أحسن الظَّن بربه لأحسن الْعَمَل.)

فمن تعرف على الله بأسمائه وصـــفاته وعظيم إحســـانه أحبه غاية ومنتهى الحب وأحســـن الظن به منتهى الإحســـان فالإنســـان لمعرفته بحال والديه يحبهم حبا كبيرا ويحسـن الظن بهم كثيرا لما رآه من حبهم له وعنايتهم بهم وخوفهم عليه ونصـحهم له والله تبارك وتعالى أرحم بعبده من والديه ومن نفســه التي بين جنبيه ففي الصــحيح

عن عمر بن الخطاب، أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي، تبتغي، إذا وجدت صبيا في السبي، أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»..

فمن أحسن الظن بربه فلا يضل ولا يشقى فهو يعيش في ظلال حسن الظن الحياة الطيبة في السراء والضراء كما قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: والذي لا إله غيره ما أعطي عبد مؤمن شيئا قط بعد الإيمان بالله عز وجل أفضل من أن يحسن ظنه بالله، والله الذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله ظنه إلا أعطاه الله إياه، وذلك أن الخير بيده. شعب الإيمان.

وروي عن ابن عمر أنه قال: عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلا أي منبسطا لا خوف عليه. التذكرة بأحوال الموتى.

فلا يضل ولا يشقى إلا محروم أهلك نفسه بسوء عمله وسوء ظنه بربه أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

والكلام في باب حسن الظن بالله كلام عظيم وطويل نكتفي بما ذكرنا ونحيل من يريد الزيادة إلى كتاب حسن الظن للدكتور إياد قنيبي -حفظه الله-.

رسالة من نور:

وأسألك الرضا بعد القضاء

إن مفتاح السعادة الرضا بالقدر فمن رضي بقدر الله انشرح صدره وسلم إليه أمره ووافق عملُه قولَه حقا وصدقا فهو يقول في أذكاره اليومية: "رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا"..

فمن رضي بالله ربا رضي بحكمه وقدره ولم يعترض اعتراض إبليس فهو أول من اعترض على أمر الله وقدره.

والعبد المؤمن يرضى بقدر الله لأنه هو من خلقه وهو يعلم ما يصلحه وهو أرحم به من نفسه ووالديه والناس أجمعين.. من هنا علمنا النبي ﷺ أن نسأل الله الرضا بعد القضاء فقد روى الإمام النسائي عن عطاء بن السائب، عن أبيه: "صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَّا عَلَى ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كَنَّى عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ

إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَـــرَّاءَ مُضِـــرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِـــلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ". صححه الألباني.

وأفضل الرضا بعد القضاء ما وطَّنَ العبد نفسه عليه قبل ووقوعه قال الإمام البيهقي في شـــعب الإيمان أخبرنا أبو عبد الرحمن الســـلمي أنه سمع عبد الله الرازي يقول: سئل أبو عثمان، عن قول النبي ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء». فقال: الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا..

فمن رضـــي بالله ربا رضـــي بشـرعه وأحكامه وقدره وقضـائه ولن يذوق العبد طعم الإيمان حتى يحقق ذلك عن العباس بن عبد المطلب، أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا». رواه مسلم.

ومتى ذاق العبد طعم الإيمان فإنه لا يتهم الله ولا يتســـخط من أمر قضـــاه الله له عن عبادة بن الصـــامت –رضـــي الله عنه– قال: (بينما أنا عند رســـول الله ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسـول الله! أي الأعمال أفضـل؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد في سبيله، وحج مبرور».

فلما ولى الرجل قـال: «وأهون عليـك من ذلـك إطعـام الطعـام، ولين الكلام، وحسن الخلق».

فلما ولى قال: «وأهون عليك من ذلك، لا تتهم الله على شـــيء قضـــاه عليك».) رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني.

من هنا وجدنا الصالحين يسألون الله الرضا بعد القضاء فهو مفتاح كل خير وسعادة والاعتراض وعدم الرضا مفتاح كل شر وشقاء روى موطأ مالك عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يدعو: "اللهم رضني بقضائك وأسعدني بقدرك حتى لا أحب تأخير شيء عجلته ولا تعجيل شيء أخرته."

رسالة من نور:

العاقل الراضي من يعد البلاء عافية، والمنع نعمة.. ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾

هذه الرسالة والوقفة متممة للتي قبلها متصلة بها اتصالا وثيقا لا انفكاك بينهما أفردتها في عنوان مستقل لأهميتها وأثرها العظيم في التعامل مع الوقائع والأحداث التي تقع بخلاف محبة ورغبة العبد ظنا منه أن ذلك ليس من الخير..

وقد أفرد الإمام ابن القيم -رحمه الله- في كتابه مدارج السالكين هذه المسألة الهامة بالبحث والتفصيل وذكر في بيانها أكثر من ستين وجها فأجاد وأفاد وسطر كلاما نفيسا يكتب بماء الذهب أنقله بحروفه رغم طوله لعظيم أهميته في هذا الباب.. فاقرأه وتدبره ففيه الترياق المجرب والشفاء التام -بإذن الله- قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:

(فإن الراضي الموافق تستوي عنده الحالات -من النعمة والبلية- في رضاه بحسن اختيار الله له. وليس المراد استواؤها عنده في ملاءمته ومنافرته. فإن هذا خلاف الطبع البشري، بل خلاف الطبع الحيواني. وليس المراد أيضا استواء الحالات عنده في الطاعة والمعصية. فإن هذا مناف للعبودية من كل وجه. وإنما تستوي النعمة والبلية عنده في الرضا بهما لوجوه:

أحدها: أنه مفوض والمفوض راض بكل ما اختاره له من فوض إليه ولا سيما إذا علم كمال حكمته ورحمته، ولطفه وحسن اختياره له.

الثاني: أنه جازم بأنه لا تبديل لكلمات الله، ولا راد لحكمه وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهو يعلم أن كلا من البلية والنعمة بقضاء سابق، وقدر حتم.

الثالث: أنه عبد محض.. والعبد المحض لا يسخط جريان أحكام سيده المشفق البار الناصح المحسن بل يتلقاها كلها بالرضا به وعنه.

الرابع: أنه محب.. والمحب الصادق: من رضي بما يعامله به حبيبه.

الخامس: أنه جاهل بعواقب الأمور وسيده أعلم بمصلحته وبما ينفعه.

السادس: أنه لا يريد مصلحة نفسه من كل وجه، ولو عرف أسبابها فهو جاهل ظالم وربه تعالى يريد مصلحته، ويسوق إليه أسبابها ومن أعظم أسبابها: ما يكرهه العبد، فإن مصلحته فيما يكره أضعاف أضعاف مصلحته فيما يحب قال الله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

السابع: أنه مسلم والمسلم من قد سلم نفسه لله ولم يعترض عليه في جريان أحكامه عليه ولم يسخط ذلك.

الثامن: أنه عارف بربه حسن الظن به لا يتهمه فيما يجريه عليه من أقضيته وأقداره فحسن ظنه به يوجب له استواء الحالات عنده، ورضاه بما يختاره له سيده سبحانه.

التاسع: أنه يعلم أن حظه من المقدور ما يتلقاه به من رضا وسخط فلا بد له منه فإن رضي فله الرضا، وإن سخط فله السخط.

العاشر: علمه بأنه إذا رضي انقلب في حقه نعمة ومنحة، وخف عليه حمله، وأعين عليه، وإذا سخطه تضاعف عليه ثقله وكله، ولم يزدد إلا شدة. فلو أن السخط يجدي عليه شيئا لكان له فيه راحة أنفع له من الرضا به.

ونكتة المسألة: إيمانه بأن قضاء الرب تعالى خير له، كما قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له. إن أصابته سراء شكر. فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له. وليس ذلك إلا للمؤمن».

الحادي عشر: أن يعلم أن تمام عبوديته في جريان ما يكرهه من الأحكام عليه ولو لم يجر عليه منها إلا ما يحب لكان أبعد شيء عن عبودية ربه.. فلا تتم له عبوديته -من الصبر، والتوكل، والرضا، والتضرع، والافتقار، والذل، والخضوع، وغيرها- إلا بجريان القدر له بما يكرهه.. وليس الشأن في الرضا بالقضاء الملازم للطبيعة إنما الشأن في القضاء المؤلم المنافر للطبع.

الثاني عشر: أن يعلم أن رضاه عن ربه سبحانه وتعالى في جميع الحالات يثمر رضا ربه عنه، فإذا رضي عنه بالقليل من الرزق رضي ربه عنه بالقليل من العمل

وإذا رضي عنه في جميع الحالات واستوت عنده، وجده أسرع شيء إلى رضاه إذا ترضَّاه وتملَّقه.

الثالث عشر: أن يعلم أن أعظم راحته، وسروره ونعيمه في الرضا عن ربه تعالى وتقدس في جميع الحالات فإن الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العارفين، وجنة الدنيا.. فجدير بمن نصح نفسه أن تشتد رغبته فيه وأن لا يستبدل بغيره منه.

الرابع عشر: أن السخط باب الهم والغم والحزن، وشتات القلب، وكسف البال، وسوء الحال، والظن بالله خلاف ما هو أهله.. والرضا يخلصه من ذلك كله ويفتح له باب جنة الدنيا قبل جنة الآخرة.

الخامس عشر: أن الرضا يوجب له الطمأنينة، وبرد القلب، وسكونه وقراره.. والسخط يوجب اضطراب قلبه، وريبته وانزعاجه، وعدم قراره.

السادس عشر: أن الرضا ينزل عليه السكينة التي لا أنفع له منها ومتى نزلت عليه السكينة استقام وصلحت أحواله، وصلح باله.. والسخط يبعده منها بحسب قلته وكثرته.. وإذا ترحلت عنه السكينة ترحل عنه السرور والأمن والدعة والراحة، وطيب العيش.. فمن أعظم نعم الله على عبده تنزل السكينة عليه ومن أعظم أسبابها الرضا عنه في جميع الحالات.

السابع عشر: أن الرضا يفتح له باب السلامة فيجعل قلبه سليما نقيا من الغش والدغل والغل ولا ينجو من عذاب الله إلا من أتى الله بقلب سليم.. كذلك وتستحيل سلامة القلب مع السخط وعدم الرضا.

وكلما كان العبد أشد رضا كان قلبه أسلم فالخبث والدغل والغش قرين السخط، وسلامة القلب وبره ونصحه قرين الرضا.. وكذلك الحسد هو من ثمرات السخط وسلامة القلب منه من ثمرات الرضا.

الثامن عشر: أن السخط يوجب تلون العبد، وعدم ثباته مع الله.. فإنه لا يرضى إلا بما يلائم طبعه ونفسه والمقادير تجري دائما بما يلائمه وبما لا يلائمه وكلما جرى عليه منها ما لا يلائمه أسخطه فلا تثبت له قدم على العبودية.. فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات، استقرت قدمه في مقام العبودية، فلا يزيل التلون عن العبد شيء مثل الرضا.

التاسع عشر: أن السخط يفتح عليه باب الشك في الله، وقضائه وقدره وحكمته وعلمه. فقلَّ أن يسلم الساخط من شك يداخل قلبه ويتغلغل فيه، وإن كان لا يشعر به.. فلو فتش نفسه غاية التفتيش لوجد يقينه معلولا مدخولا..

فإن الرضا واليقين أخوان مصطحبان، والشك والسخط قرينان وهذا معنى الحديث الذي في الترمذي – أو غيره «إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل. فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره النفس خيرا كثيرا»[١].

العشرون: أن الرضا بالمقدور من سعادة ابن آدم، وسخطه من شقاوته، كما في المسند والترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم: استخارة الله عز وجل. ومن سعادة ابن

١ . قلت: الحديث ضعفه الألباني

آدم: رضاه بما قضى الله. ومن شقوة ابن آدم: سخطه بما قضى الله. ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارة الله»[٢].

فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة، والتسخط على القضاء من أسباب الشقاوة.

الحادي والعشرون: أن الرضا يوجب له أن لا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه وذلك من أفضل الإيمان..

أما عدم أساه على الفائت فظاهر.. وأما عدم فرحه بما آتاه فلأنه يعلم أن المصيبة فيه مكتوبة من قبل حصوله فكيف يفرح بشيء يعلم أن له فيه مصيبة منتظرة ولا بد؟

الثاني والعشرون: أن من ملأ قلبه من الرضا بالقدر ملأ الله صدره غنى وأمنا وقناعة وفرغ قلبه لمحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه.. ومن فاته حظه من الرضا امتلأ قلبه بضد ذلك واشتغل عما فيه سعادته وفلاحه.. فالرضا يفرغ القلب لله، والسخط يفرغ القلب من الله.

الثالث والعشرون: أن الرضا يثمر الشكر، الذي هو من أعلى مقامات الإيمان، بل هو حقيقة الإيمان.. والسخط يثمر ضده، وهو كفر النعم، وربما أثمر له كفر المنعم.. فإذا رضي العبد عن ربه في جميع الحالات أوجب له ذلك شكره فيكون

---

٢ . قلت: الحديث ضعفه الترمذي

من الراضــين الشــاكرين.. وإذا فاته الرضــا كان من الســاخطين، وســلك ســبيل الكافرين.

الرابع والعشرون: أن الرضا ينفي عنه آفات الحرص والكَلَب على الدنيا، وذلك رأس كل خطيئة، وأصــل كل بلية، وأســاس كل رزية.. فرضــاه عن ربه في جميع الحالات ينفي عنه مادة هذه الآفات.

الخامس والعشـرون: أن الشـيطان إنما يظفر بالإنسـان غالبا عند السـخط والشـهوة فهناك يصطاده.. ولا سيما إذا استحكم سخطه فإنه يقول ما لا يرضي الرب ويفعل ما لا يرضـــيه وينوي ما لا يرضـــيه.. ولهذا قال النبي ﷺ عند موت ابنه إبراهيم: «يحزن القلب. وتدمع العين. ولا نقول إلا ما يرضـــي الرب». فإن موت البنين من العوارض التي توجب للعبد السخط على القدر.

فـأخبر النبي ﷺ: أنـه لا يقول في مثـل هـذا المقـام -الـذي يســـخطه أكثر النـاس فيتكلمون بما لا يرضي الله. ويفعلون ما لا يرضيه- إلا ما يرضي ربه تبارك وتعالى.. ولهذا لما مات ابن الفضيل بن عياض رؤي في الجنازة ضاحكا.

فقيل له: أتضـحك وقد مات ابنك؟ فقال: إن الله قضى بقضـاء فأحببت أن أرضى بقضائه.

فأنكرت طائفة هذه المقالة على الفضيل. وقالوا: رسول الله ﷺ بكى يوم مات ابنه. وأخبر أن: «القلب يحزن، والعين تدمع». وهو في أعلى مقامات الرضـا. فكيف يعد هذا من مناقب الفضيل؟

والتحقيق: أن قلب رسول الله ﷺ اتسع لتكميل جميع المراتب، من الرضا عن الله، والبكاء رحمة للصبي.. فكان له مقام الرضا، ومقام الرحمة ورقة القلب.. والفضيل لم يتسع قلبه لمقام الرضا ومقام الرحمة.. فلم يجتمع له الأمران والناس في ذلك على أربع مراتب.

أحدها: من اجتمع له الرضا بالقضاء ورحمة الطفل فدمعت عيناه رحمة والقلب راض.

الثاني: من غيبه الرضا عن الرحمة فلم يتسع للأمرين بل غيبه أحدهما عن الآخر.

الثالث: من غيبته الرحمة والرقة عن الرضا فلم يشهده، بل فني عن الرضا.

الرابع: من لا رضا عنده ولا رحمة. وإنما يكون حزنه لفوات حظه من الميت.. وهذا حال أكثر الخلق فلا إحسان ولا رضا عن الرحمن.. والله المستعان.

فالأول في أعلى مراتب الرضا. والثاني دونه. والثالث دون الثاني. والرابع هو الساخط.

السادس والعشرون: أن الرضا هو اختيار ما اختاره الله لعبده، والسخط كراهة ما اختاره الله له، وهذا نوع محادة.. فلا يتخلص منه إلا بالرضا عن الله في جميع الحالات.

السابع والعشرون: أن الرضا يخرج الهوى من القلب.. فالراضي هواه تبع لمراد ربه منه.. أعني المراد الذي يحبه ربه ويرضاه.. فلا يجتمع الرضا واتباع الهوى في القلب أبدا، وإن كان معه شعبة من هذا وشعبة من هذا، فهو للغالب عليه منهما.

الثامن والعشرون: أن الرضا عن الله في جميع الحالات يثمر للعبد رضا الله عنه -كما تقدم بيانه في الرضا به- فإن الجزاء من جنس العمل. وفي أثر إسرائيلي "أن موسى صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل: ما يدني من رضاه؟ فقال: إن رضاي في رضاك بقضائي".

التاسع والعشرون: أن الرضا بالقضاء أشق شيء على النفس.. بل هو ذبحها في الحقيقة.. فإنه مخالفة هواها وطبعها وإرادتها.. ولا تصير مطمئنة قط حتى ترضى بالقضاء.. فحينئذ تستحق أن يقال لها: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾ [الفجر: ٢٧].

الثلاثون: أن الراضي متلق أوامر ربه -الدينية والقدرية- بالانشراح والتسليم، وطيب النفس، والاستسلام.. والساخط يتلقاها بضد ذلك إلا ما وافق طبعه. وإرادته منها.

وقد بينا أن الرضا بذلك لا ينفعه ولا يثاب عليه فإنه لم يرض به لكون الله قدره وقضاه وأمر به وإنما رضي به لموافقته هواه وطبعه.. فهو إنما رضي لنفسه وعن نفسه لا بربه، ولا عن ربه.

الحادي والثلاثون: أن المخالفات كلها أصــلها من عدم الرضـــا.. والطاعات كلها أصـلها من الرضـا. وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف صـفات نفسـه، وما يتولد عنها من الطاعات والمعاصي.

الثاني والثلاثون: أن عدم الرضـا يفتح باب البدعة، والرضـا يغلق عنه ذلك الباب.. ولو تأملت بدع الروافض، والنواصب، والخوارج. لرأيتها ناشئة من عدم الرضا بالحكم الكوني، أو الديني، أو كليهما.

الثالث والثلاثون: أن الرضـا معقد نظام الدين ظاهره وباطنه.. فإن القضـايا لا تخلو من خمسة أنواع: فتنقسم قسمين: دينية، وكونية.

وهي مأمورات، ومنهيات، ومباحات، ونعم ملذة، وبلايا مؤلمة.

فإذا اســتعمل العبد الرضــا في ذلك كله فقد أخذ بالحظ الوافر من الإســلام، وفاز بالقدح المعلى.

الرابع والثلاثون: أن الرضــا يخلص العبد من مخاصــمة الرب تعالى في أحكامه وأقضـيته.. فإن السـخط عليه مخاصـمة له فيما لم يرض به العبد. وأصـل مخاصـمة إبليس لربه: من عدم رضـاه بأقضيته وأحكامه الدينية والكونية.. فلو رضي لم يمسخ من الحقيقة الملكية إلى الحقيقة الشيطانية الإبليسية.

الخامس والثلاثون: أن جميع ما في الكون أوجبته مشــيئة الله، وحكمته، وملكه.. فهو موجب أسمائه وصــفاته.. فمن لم يرض بما رضــي به ربه، لم يرض بأسمائه وصفاته.. فلم يرض به ربا.

السادس والثلاثون: أن كل قدر يكرهه العبد ولا يلائمه.. لا يخلو: إما أن يكون عقوبة على الذنب فهو دواء لمرض.. لولا تدارك الحكيم إياه بالدواء لترامى به المرض إلى الهلاك.. أو يكون سببا لنعمة لا تنال إلا بذلك المكروه فالمكروه ينقطع ويتلاشى وما يترتب عليه من النعمة دائم لا ينقطع. فإذا شهد العبد هذين الأمرين انفتح له باب الرضا عن ربه في كل ما يقتضيه له ويقدره.

السابع والثلاثون: أن حكم الرب تعالى ماض في عبده، وقضاؤه عدل فيه كما في الحديث «ماض في حكمك، عدل في قضاؤك» ومن لم يرض بالعدل فهو من أهل الظلم والجور.

وقوله: عدل في قضاؤك، يعم قضاء الذنب، وقضاء أثره وعقوبته.. فإن الأمرين من قضائه عز وجل. وهو أعدل العادلين في قضائه بالذنب، وفي قضائه بعقوبته.

أما عدله في العقوبة فظاهر.. وأما عدله في قضائه بالذنب فلأن الذنب عقوبة على غفلته عن ربه وإعراض قلبه عنه.. فإنه إذا غفل قلبه عن ربه ووليه، ونقص إخلاصه استحق أن يضرب بهذه العقوبة.. لأن قلوب الغافلين معدن الذنوب.. والعقوبات واردة عليها من كل جهة.. وإلا فمع كمال الإخلاص والذكر والإقبال على الله سبحانه وتعالى وذكره، يستحيل صدور الذنب كما قال تعالى: ﴿**كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤].

فإن قلت: قضاؤه على عبده بإعراضه عنه، ونسيانه إياه، وعدم إخلاصه: عقوبة على ماذا؟

قلت: هذا طبع النفس وشأنها، فهو سبحانه إذا لم يرد الخير بعبده خلى بينه وبين نفسه وطبعه وهواه.. وذلك يقتضي أثرها من الغفلة والنسيان، وعدم الإخلاص واتباع الهوى..

وهذه الأسباب تقتضي آثارها من الآلام، وفوات الخيرات واللذات. كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها وآثارها..

فإن قلت: فهلا خلقه على غير تلك الصفة؟

قلت: هذا سؤال فاسد، ومضمونه: هلا خلقه ملكا لا إنسانا.

فإن قلت: فهلا أعطاه التوفيق الذي يتخلص به من شر نفسه، وظلمة طبعه؟

قلت: مضمون هذا السؤال: هلا سوى بين جميع خلقه؟ ولم خلق المتضادات والمختلفات؟ وهذا من أفسد الأسئلة. وقد تقدم بيان اقتضاء حكمته وربوبيته وملكه لخلق ذلك.

الثامن والثلاثون: أن عدم الرضا إما أن يكون لفوات ما أخطأه مما يحبه ويريده.. وإما لإصابة ما يكرهه ويسخطه.. فإذا تيقن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه فلا فائدة في سخطه بعد ذلك إلا فوات ما ينفعه وحصول ما يضره.

التاسـع والثلاثون: أن الرضـا من أعمال القلوب، نظير الجهاد من أعمال الجوارح.. فإن كل واحد منهما ذروة سـنام الإيمان.. قال أبو الدرداء: "ذروة سـنام الإيمان: الصبر للحكم، والرضا بالقدر".

الأربعون: أن أول معصية عصي الله بها في هذا العالم إنما نشأت من عدم الرضـا.. فإبليس لم يرض بحكم الله الذي حكم به كونا، من تفضيل آدم وتكريمه، ولا بحكمه الديني، من أمره بالسجود لآدم، وآدم لم يرض بما أبيح له من الجنة.. حتى ضم إليه الأكل من شجرة الحمى.. ثم ترتبت معاصي الذرية على عدم الصبر وعدم الرضا.

الحادي والأربعون: أن الراضي واقف مع اختيار الله له معرض عن اختياره لنفسه.. وهذا من قوة معرفته بربه تعالى، ومعرفته بنفسه..

وقد اجتمع وهيب بن الورد، وسفيان الثوري، ويوسف بن أسباط. فقال الثوري: قد كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم وأما اليوم: فوددت أني ميت.

فقال له يوسف بن أسباط: ولم؟ فقال: لما أتخوف من الفتنة.

فقال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء.

فقال الثوري: ولم تكره الموت؟

قال: لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا.

فقيل لوهيب: أي شيء تقول أنت؟

فقال: أنا لا أختار شيئا، أحب ذلك إلي أحبه إلى الله.

فقبل الثوري بين عينيه. وقال: روحانية ورب الكعبة.

فهذا حال عبد قد اســـتوت عنده حالة الحياة والموت.. وقف مع اختيار الله له منها.. وقد كان وهيب -رحمه الله- له المقام العالي من الرضا وغيره.

الثاني والأربعون: أن يعلم أن منع الله ســـبحانه وتعالى لعبده المؤمن المحب عطاء، وابتلاءه إياه عافية.. قال ســـفيان الثوري: منعه عطاء: وذلك أنه لم يمنع عن بخل ولا عدم.. وإنما نظر في خير عبده المؤمن فمنعه اختيارا وحسن نظر.

وهذا كما قال.. فإنه سبحانه لا يقضي لعبده المؤمن قضاء إلا كان خيرا له، ساءه ذلك القضاء أو سره..

فقضاؤه لعبده المؤمن المنع عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كانت في صورة محنة.. وبلاؤه عافية وإن كان في صـــورة بلية.. ولكن لجهل العبد وظلمه لا يعد العطاء والنعمة والعافية إلا ما التذ به في العاجل وكان ملائما لطبعه.. ولو رزق من المعرفة حظا وافرا لعد المنع نعمة، والبلاء رحمة.. وتلذذ بالبلاء أكثر من لذته بالعافية وتلذذ بالفقر أكثر من لذته بالغنى.. وكان في حال القلة أعظم شـــكرا من حال الكثرة.. وهذه كانت حال السلف.

فالعاقل الراضي: من يعد البلاء عافية، والمنع نعمة، والفقر غنى.

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه إذا رأيت الفقر مقبلا، فقل: مرحبا بشـعار الصـالحين، وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل: ذنب عجلت عقوبته.

فالراضـــي: هو الذي يعد نعم الله عليه فيما يكرهه، أكثر وأعظم من نعمه عليه فيما يحبه، كما قال بعض العارفين: يا ابن آدم نعمة الله عليك فيما تكره أعظم من نعمته عليك فيما تحب. وقد قال تعالى: ﴿**وعســـى أن تكرهوا شـــيئا وهو خير لكم**﴾ [البقرة: ٢١٦]، وقد قال بعض العارفين: ارض عن الله في جميع ما يفعله بك. فإنه ما منعك إلا ليعطيك. ولا ابتلاك إلا ليعافيك. ولا أمرضـــك إلا ليشـــفيك. ولا أماتك إلا ليحييك. فإياك أن تفارق الرضا عنه طرفة عين. فتسقط من عينه.

الثالث والأربعون: أن يعلم أنه ســبحانه هو الأول قبل كل شــيء، والآخر بعد كل شيء، والمظهر لكل شيء، والمالك لكل شيء، وهو الذي يخلق ما يشاء ويختار.. وليس للعبد أن يختار عليه، وليس لأحد معه اختيار.. ولا يشرك في حكمه أحدا.. والعبد لم يكن شيئا مذكورا.. فهو سبحانه الذي اختار وجوده واختار أن يكون كما قدره له وقضـــاه من عافية وبلاء، وغنى وفقر، وعز وذل، ونباهة وخمول، فكما تفرد ســبحانه بالخلق، تفرد بالاختيار والتدبير –وليس للعبد شــيء من ذلك– فإن الأمر كله لله. وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**ليس لك من الأمر شـــيء**﴾ [آل عمران: ١٢٨]، فإذا تيقن العبد أن الأمر كله لله، وليس له من الأمر قليل ولا كثير. لم يكن له معول –بعد ذلك– غير الرضـــا بمواقع الأقدار وما يجري به من ربه الاختيار.

الرابع والأربعون: أن رضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها.. لأن الرضا صفة الله والجنة خلقه، قال الله تعالى: ﴿**ورضـــوان من الله أكبر**﴾ [التوبة: ٧٢]، بعد قوله: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين**

فيها ومسـاكن طيبة في جنات عدن ورضـوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ [التوبة: ٧٢]. وهذا الرضـا جزاء على رضـاهم عنه في الدنيا، ولما كان هذا الجزاء أفضل الجزاء، كان سببه أفضل الأعمال.

الخامس والأربعون: أن العبد إذا رضـي به وعنه في جميع الحالات لم يتخير عليه المسـائل وأغناه رضـاه بما يقسـمه له ويقدره ويفعله به عن ذلك وجعل ذكره في محل سؤاله.. بل يكون من سؤاله له الإعانة على ذكره، وبلوغ رضاه.. فهذا يعطى أفضل ما يعطاه سـائل كما جاء في الحديث «من شـغله ذكري عن مسـألتي أعطيته أفضـل ما أعطي السائلين».

فإن السـائلين سـألوه فأعطاهم الفضـل الذي سـألوه.. والراضـون رضـوا عنه فأعطاهم رضاه عنهم، ولا يمنع الرضا سؤاله أسباب الرضا، بل أصحابه ملحون في سؤاله ذلك.

السـادس والأربعون: أن النبي ﷺ كان يندب إلى أعلى المقامات.. فإن عجز العبد عنه حط إلى المقام الوسـط، كما قال: «اعبد الله كأنك تراه.» فهذا مقام المراقبة الجامع لمقامات الإسلام والإيمان والإحسان.. ثم قال: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك.» فحطه عند العجز عن المقام الأول إلى المقام الثاني، وهو العلم باطلاع الله عليه ورؤيته له، ومشـاهدته لعبده في الملأ والخلاء، وكذا الحديث الآخر: «إن اسـتطعت أن تعمل لله بالرضـا مع اليقين فافعل. فإن لم تسـتطع فإن في الصـبر على ما تكره خيرا كثيرا». فرفعه إلى أعلى المقامات. ثم رده إلى أوسـطها إن لم يسـتطع الأعلى.

فالأول: مقام الإحسان، والذي حطه إليه مقام الإيمان، وليس دون ذلك إلا مقام الخسران.

السابع والأربعون: أنه ﷺ أثنى على الراضين بمر القضاء بالحكم والعلم والفقه، والقرب من درجة النبوة كما في حديث الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ. فقال: «ما أنتم؟» فقالوا: مؤمنون. فقال: «ما علامة إيمانكم؟» فقالوا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمر القضاء. والصدق في مواطن اللقاء، وترك الشماتة بالأعداء. فقال: «حكماء علماء. كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء»[٣].

الثامن والأربعون: أن الرضا آخذ بزمام مقامات الدين كلها وهو روحها وحياتها.. فإنه روح التوكل وحقيقته، وروح اليقين، وروح المحبة، وصحة المحب، ودليل صدق المحبة، وروح الشكر ودليله.

قال الربيع بن أنس: علامة حب الله: كثرة ذكره، فإنك لا تحب شيئا إلا أكثرت من ذكره.. وعلامة الدين الإخلاص لله في السر والعلانية.. وعلامة الشكر الرضا بقدر الله والتسليم لقضائه.

وقال أحمد بن أبي الحواري: ذاكرت أبا سليمان في الخبر المروي: أول من يدعى إلى الجنة الحمَّادون فقال: ويحك، ليس هو أن تحمده على المصيبة وقلبك يتعصى عليك.. إذا كنت كذلك فارجع إلى الصابرين.. إنما الحمد: أن تحمده وقلبك مسلم راض.

٣. قلت: الحديث ضعفه الألباني وقال عنه منكر

فصار الرضا كالروح لهذه المقامات، والأساس الذي تنبني عليه.. ولا يصح شيء منها بدونه ألبتة، والله أعلم.

التاسع والأربعون: أن الرضا يقوم مقام كثير من التعبدات التي تشق على البدن.. فيكون رضاه أسهل عليه، وألذ له، وأرفع في درجته.. وقد ذكر في أثر إسرائيلي: "أن عابدا عبد الله دهرا طويلا، فأري في المنام: أن فلانة الراعية رفيقتك في الجنة، فسأل عنها، إلى أن وجدها.. فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة. ويظل صائما وتظل مفطرة. فقال لها: أما لك عمل غير ما رأيت؟ قالت: ما هو والله غير ما رأيت –أو قالت: إلا ما رأيت– لا أعرف غيره، فلم يزل يقول لها: تذكري. حتى قالت: خصيلة واحدة هي في.. وذلك: أني إن كنت في شدة لم أتمن أني في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمن أني في صحة، وإن كنت في شمس لم أتمن أني في الظل. قال: فوضع العابد يده على رأسه. وقال: أهذه خصيلة؟ هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد".

وقد روى ابن مسعود –رضي الله عنه–: من رضي بما أنزل من السماء إلى الأرض غفر له.

وفي أثر مرفوع: «خير ما أعطي العبد: الرضا بما قسم الله له»[4].

وفي أثر آخر: «إذا أحب الله عبدا ابتلاه. فإن صبر اجتباه، فإن رضي اصطفاه»[5].

---

٤ . قلت: لا يصح مرفوعا

٥ . قلت: لا يصح مرفوعا ضعفه الإمام العراقي

وفي أثر: إن بني إسرائيل سألوا موسى أن يسأل ربه أمرا إذا هم فعلوه رضي عنهم. فقال موسى: رب، إنك تسمع ما يقولون. فقال: قل لهم يرضون عني حتى أرضى عنهم.

وفي أثر آخر عن النبي ﷺ: «من أحب أن يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فإن الله ينزل العبد منه حيث ينزله العبد من نفسه».

وفي أثر آخر: «من رضي من الله بالقليل من الرزق، رضي الله منه بالقليل من العمل»[٦].

وقال بعض العارفين: أعرف في الموتى عالما ينظرون إلى منازلهم في الجنان في قبورهم، يغدى عليهم ويراح برزقهم من الجنة بكرة وعشيا وهم في غموم وكروب في البرزخ لو قسمت على أهل بلد لماتوا أجمعين.

قيل: وما كانت أعمالهم؟ قال: كانوا مسلمين مؤمنين، إلا أنهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب.

وفي وصية لقمان لابنه: أوصيك بخصال تقربك من الله، وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت.

وقال بعض العارفين: من يتوكل على الله، ويرض بقدر الله، فقد أقام الإيمان، وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير، وأقام الأخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره.

---

٦ . قلت: ضعفه الألباني وقال ضعيف جدا

الخمسون: أن الرضا يفتح باب حسن الخلق مع الله تعالى ومع الناس.. فإن حسن الخلق من الرضا وسوء الخلق من السخط. وحسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وسوء الخلق يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب..

الحادي والخمسون: أن الرضا يثمر سرور القلب بالمقدور في جميع الأمور، وطيب النفس وسكونها في كل حال، وطمأنينة القلب عند كل مفزع من أمور الدنيا، وبرد القناعة، واغتباط العبد بقسمه من ربه، وفرحه بقيام مولاه عليه، واستسلامه لمولاه في كل شيء، ورضاه منه بما يجريه عليه، وتسليمه له الأحكام والقضايا، واعتقاد حسن تدبيره، وكمال حكمته، ويذهب عنه شكوى ربه إلى غيره وتبرمه بأقضيته.. ولهذا سمى بعض العارفين الرضا: (حسن الخلق مع الله).. فإنه يوجب ترك الاعتراض عليه في ملكه، وحذف فضول الكلام التي تقدح في حسن خلقه.. فلا يقول: ما أحوج الناس إلى مطر؟ ولا يقول: هذا يوم شديد الحر، أو شديد البرد.. ولا يقول: الفقر بلاء، والعيال هم وغم، ولا يسمي شيئا قضاه الله وقدره باسم مذموم إذا لم يذمه الله سبحانه وتعالى.. فإن هذا كله ينافي رضاه..

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: أصبحت وما لي سرور إلا في مواقع القدر.

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت، إن كان الفقر فإن فيه الصبر، وإن كان الغنى فإن فيه البذل..

وقال ابن أبي الحواري -أو قيل له- إن فلانا قال: وددت أن الليل أطول مما هو. فقال: قد أحسن، وقد أساء.. أحسن حيث تمنى طوله للعبادة والمناجاة، وأساء حيث تمنى ما لم يرده الله، وأحب ما لم يحبه الله.

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت: من شدة أو رخاء.

وقال يوما لامرأته عاتكة، أخت سعيد بن زيد -وقد غضب عليها- والله لأسوأنك. فقالت: أتستطيع أن تصرفني عن الإسلام، بعد إذ هداني الله؟ قال: لا. فقالت: فأي شيء تسوءني به إذا؟

تريد أنها راضية بمواقع القدر. لا يسوؤها منه شيء إلا صرفها عن الإسلام، ولا سبيل له إليه.

وقال الثوري يوما عند رابعة: اللهم ارض عنا. فقالت: أما تستحي أن تسأله الرضا عنك، وأنت غير راض عنه؟ فقال: أستغفر الله، ثم قال لها جعفر بن سليمان: متى يكون العبد راضيا عن الله؟ فقالت: إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة.

وفي أثر إلهي: ما لأوليائي والهم بالدنيا؟ إن الهم بالدنيا يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم.

وقيل: أكثر الناس هما بالدنيا أكثرهم هما في الآخرة. وأقلهم هما بالدنيا أقلهم هما في الآخرة.

فالإيمان بالقدر، والرضا به: يذهب عن العبد الهم والغم والحزن.

وذكر عند رابعة ولي لله قوته من المزابل. فقال رجل عندها: ما ضر هذا أن يسأل الله أن يجعل رزقه في غير هذا؟ فقالت: اسكت يا بطال.. أما علمت أن أولياء الله هم أرضى عنه من أن يسألوه أن ينقلهم إلى معيشة حتى يكون هو الذي يختار لهم؟

وفي أثر إسرائيلي: أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أي خلقك أحب إليك؟ فقال: من إذا أخذت منه محبوبه سالمني. قال: فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من استخارني في أمر فإذا قضيته له سخط قضائي.

وفي أثر آخر: أنا الله. لا إله إلا أنا، قدرت التقادير، ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع.. فمن رضي فله الرضا مني حتى يلقاني، ومن سخط فله السخط حتى يلقاني.

الثاني والخمسون: أن أفضل الأحوال: الرغبة في الله ولوازمها وذلك لا يتم إلا باليقين، والرضا عن الله.. ولهذا قال سهل: حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا. وحظهم من الرضا على قدر رغبتهم في الله.

الثالث والخمسون: أن الرضا يخلصه من عيب ما لم يعبه الله، ومن ذم ما لم يذمه الله.. فإن العبد إذا لم يرض بالشيء عابه بأنواع المعايب، وذمه بأنواع المذام.. وذلك منه قلة حياء من الله، وذم لما ليس له ذنب، وعيب لخلقه.. وذلك يسقط العبد من عين ربه. ولو أن رجلا صنع لك طعاما وقدمه إليك فعبته وذممته،

لكنت متعرضا لمقته وإهانته، ومستدعيا منه: أن يقطع ذلك عنك. وقد قال بعض العارفين: إن ذم المصنوع وعيبه -إذا لم يذمه صانعه- غيبة له وقدح فيه.

الرابع والخمسون: أن النبي ﷺ سأل الله الرضا بالقضاء. كما في المسند والسنن: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي. وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي. وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة. وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا. وأسألك القصد في الفقر والغنى. وأسألك نعيما لا ينفد. وأسألك قرة عين لا تنقطع. وأسألك الرضا بعد القضاء. وأسألك برد العيش بعد الموت. وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم. وأسألك الشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. اللهم زينا بزينة الإيمان. واجعلنا هداة مهتدين».

فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: (سأله الرضا بعد القضاء. لأنه حينئذ تبين حقيقة الرضا. وأما الرضا قبله: فإنما هو عزم على أنه يرضى إذا أصابه. وإنما يتحقق الرضا بعده.)

قال البيهقي: وروينا في دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أسألك الصحة، والعفة، والأمانة، وحسن الخلق، والرضا بالقدر»[٧].

الخامس والخمسون: أن الرضا بالقدر يخلص العبد من أن يرضي الناس بسخط الله، وأن يذمهم على ما لم يؤته الله، وأن يحمدهم على ما هو عين فضل الله.. فيكون

٧ . قلت: الحديث ضعفه الألباني

ظالما لهم في الأول -وهو رضاهم وذمهم- مشركا بهم في الثاني -وهو حمدهم- فإذا رضي بالقضاء تخلص من ذمهم وحمدهم فخلصه الرضا من ذلك كله.

وقد روى عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره. وإن الله -بحكمته- جعل الروح والفرح في الرضا واليقين. وجعل الهم والحزن في الشك والسخط»[٨]. وقد رواه الثوري عن منصور عن خيثمة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ.

السادس والخمسون: أن الرضا يفرغ قلب العبد، ويقلل همه وغمه.. فيتفرغ لعبادة ربه بقلب خفيف من أثقال الدنيا وهمومها وغمومها.. كما ذكر ابن أبي الدنيا عن بشر بن بشار المجاشعي -وكان من العلماء- قال: قلت لعابد: أوصني. قال: ألق نفسك مع القدر حيث ألقاك فهو أحرى أن يفرغ قلبك ويقلل همك.. وإياك أن تسخط ذلك، فيحل بك السخط وأنت عنه في غفلة لا تشعر به فيلقيك مع الذي سخط الله عليهم.

وقال بعض السلف: ذروا التدبير والاختيار تكونوا في طيب من العيش.. فإن التدبير والاختيار يكدر على الناس عيشهم.

وقال أبو العباس بن عطاء: الفرح في تدبير الله لنا، والشقاء كله في تدبيرنا.

٨ . قلت: الحديث ضعفه الألباني ووصفه بالموضوع

وقال سفيان بن عيينة: من لم يصلح على تقدير الله لم يصلح على تقدير نفسه.

وقال أبو العباس الطوسي: من ترك التدبير عاش في راحة.

وقال بعضهم: لا تجد السلامة حتى تكون في التدبير كأهل القبور.

وقال: الرضاء ترك الخلاف على الرب فيما يجريه على العبد.

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- لقد تركتني هؤلاء الدعوات، وما لي في شيء من الأمور كلها أرب، إلا في مواقع قدر الله، وكان كثيرا ما يدعو: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل شيء أخرته. ولا تأخير شيء عجلته.

وقال: ما أصبح لي هوى في شيء سوى ما قضى الله عز وجل.

وقال شعبة: قال يونس بن عبيد: ما تمنيت شيئا قط.

وقال الفضيل بن عياض: الراضي لا يتمنى فوق منزلته.

وقال ذو النون: ثلاثة من أعلام التسليم: مقابلة القضاء بالرضا، والصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء. وثلاثة من أعلام التفويض: تعطيل إرادتك لمراده، والنظر إلى ما يقع من تدبيره لك، وترك الاعتراض على الحكم، وثلاثة من أعلام التوحيد: رؤية كل شيء من الله، وقبول كل شيء عنه، وإضافة كل شيء إليه.

وقال بعض العارفين: أصل العبادة ثلاثة: لا ترد من أحكامه شيئا، ولا تسأل غيره حاجة، ولا تدخر عنه شيئا.

وسئل ابن شمعون عن الرضا؟ فقال: أن ترضى به مدبرا ومختارا، وترضى عنه قاسما ومعطيا ومانعا، وترضاه إلها ومعبودا وربا.

وقال بعض العارفين: الرضا ترك الاختيار، وسرور القلب بمر القضاء، وإسقاط التدبير من النفس، حتى يحكم الله لها أو عليها.

وقيل: الراضي من لم يندم على فائت من الدنيا، ولم يتأسف عليها.

ولله در القائل:

العبد ذو ضجر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم

والخير أجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللوم والشوم

السابع والخمسون: أنه إذا لم يرض بالقدر وقع في لوم المقادير. إما بقالبه، وإما بقلبه وحاله.. ولوم المقادير لوم لمقدرها، وكذلك يقع في لوم الخلق. والله والناس يلومونه، فلا يزال لائما ملوما. وهذا مناف للعبودية.

قال أنس -رضي الله عنه-: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين. فما قال لي لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ ولا قال لي لشيء كان: ليته لم يكن. ولا لشيء لم يكن: ليته كان. وكان بعض أهله إذا لامني يقول: دعوه. فلو قضي شيء لكان.

وقوله: لو قضي شيء لكان يتناول أمرين:

أحدهما: ما لم يوجد من مراد العبد.

والثاني: ما وجد مما يكرهه. وهو يتناول فوات المحبوب، وحصول المكروه، فلو قضي الأول لكان، ولو قضي خلاف الآخر لكان.. فإذا استوت الحالتان بالنسبة إلى القضاء. فعبودية العبد: أن يستوي عنده الحالتان بالنسبة إلى رضاه.. وهذا موجب العبودية ومقتضاها يوضحه.

الثامن والخمسون: أنه إذا استوى الأمران بالنسبة إلى رضا الرب تعالى فهذا رضيه لعبده فقدره وهذا لم يرضه له فلم يقدره.. فكمال الموافقة أن يستويا بالنسبة إلى العبد فيرضى ما رضيه له ربه في الحالين.

التاسع والخمسون: أن الله تعالى نهى عن التقدم بين يديه ويدي رسوله في حكمه الديني الشرعي وذلك عبودية هذا الأمر.. فعبودية أمره الكوني القدري: أن لا يتقدم بين يديه إلا حيث كانت المصلحة الراجحة في ذلك.. فيكون التقدم أيضا بأمره الكوني والديني. فإذا كان فرضه الصبر أو ندبه، أو فرضه الرضا حتى ترك ذلك فقد تقدم بين يدي شرعه وقدره.

الستون: أن المحبة والإخلاص والإنابة لا تقوم إلا على ساق الرضا.. فالمحب راض عن حبيبه في كل حالة. وقد كان عمران بن حصين –رضي الله عنه– استسقي بطنه، فبقي ملقى على ظهره مدة طويلة، لا يقوم ولا يقعد.. وقد نقب له في سريره موضع لحاجته. فدخل عليه مطرف بن عبد الله الشخير فجعل يبكي لما رأى من

حاله. فقال له عمران: لم تبكي؟ فقال: لأني أراك على هذه الحال الفظيعة. فقال: لا تبك. فإن أحبه إلي أحبه إليه. وقال: أخبرك بشيء، لعل الله أن ينفعك به، واكتم علي حتى أموت. إن الملائكة تزورني فآنس بها. وتسلم علي فأسمع تسليمها.

ولما قدم سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- إلى مكة -وقد كف بصره- جعل الناس يهرعون إليه ليدعو لهم.. فجعل يدعو لهم. قال عبد الله بن السائب: فأتيته وأنا غلام. فتعرفت إليه. فعرفني. فقلت: يا عم، أنت تدعو للناس فيشفون. فلو دعوت لنفسك لرد الله عليك بصرك. فتبسم. ثم قال: يا بني، قضاء الله أحب إلي من بصري.

وقال بعض العارفين: ذنب أذنبته. أنا أبكي عليه ثلاثين سنة. قيل: وما هو؟ قال: قلت لشيء قضاء الله: ليته لم يقضه، أو ليته لم يكن.

وقال بعض السلف: لو قرض لحمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يقضه.

وقيل لعبد الواحد بن زيد: هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة. فقصده. فقال له: حبيبي، أخبرني عنك، هل قنعت به؟ قال: لا. قال: فهل أنت به؟ قال: لا. قال: فهل رضيت عنه؟ قال: لا. قال: فإنما مزيدك من الصوم والصلاة؟ قال: نعم. قال: لولا أني أستحي منك لأخبرتك: أن معاملتك خمسين سنة مدخولة.

يعني أنه لم يقربه فجعله في مقام المقربين فيوجده مواجيد العارفين، بحيث يكون مزيده لديه أعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب، لأن القناعة: حال

الموفق، والأنس به: مقام المحب، والرضا: وصف المتوكل. يعني أنت عنده في طبقات أصحاب اليمين. فمزيدك عنده مزيد العموم من أعمال الجوارح.

وقوله: إن معاملته مدخولة يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها ناقصة عن معاملة المقربين التي أوجبت لهم هذه الأحوال.

الثاني: أنها لو كانت صحيحة سالمة، لا علة فيها ولا غش: لأثمرت له الأنس والرضا والمحبة، والأحوال العلية.. فإن الرب تعالى شكور إذا وصل إليه عمل عبده جمل به ظاهره وباطنه وأثابه عليه من حقائق المعرفة والإيمان بحسب عمله. فحيث لم يجد أثرا في قلبه، من الأنس والرضا والمحبة استدل على أنه مدخول، غير سالم من الآفات.

الحادي والستون: أن أعمال الجوارح تضاعف إلى حد معلوم محسوب.. وأما أعمال القلب فلا ينتهي تضعيفها.. وذلك لأن أعمال الجوارح لها حد تنتهي إليه وتقف عنده فيكون جزاؤها بحسب حدها.. وأما أعمال القلوب فهي دائمة متصلة وإن توارى شهود العبد لها.

مثاله: أن المحبة والرضا حال المحب الراضي، لا تفارقه أصلا وإن توارى حكمها.. فصاحبها في مزيد متصل.. فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له فهو في مزيد، ولو فترت جوارحه بل قد يكون مزيده في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل بما لا نسبة بينهما.. ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده

في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام.. وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع.

فإن أنكرت هذا فتأمل مزيد نائم بالله، وقيام غافل عن الله. فالله سبحانه إنما ينظر إلى القلوب، والهمم والعزائم، لا إلى صور الأعمال.. وقيمة العبد همته وإرادته.. فمن لا يرضيه غير الله –ولو أعطي الدنيا بحذافيرها– له شأن. ومن يرضيه أدنى حظ من حظوظها له شأن. وإن كانت أعمالهما في الصورة الواحدة. وقد تكون أعمال الملتفت إلى الحظوظ أكثر وأشق. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. والله ذو الفضل العظيم.) انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين..

رسالة من نور:

«الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»

إن هذا النص النبوي الصحيح «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» من أعظم ما يبث الأمل في روح أهل الابتلاء فقد جعل الله لهم بابا واسعا يدخلونه ويلجونه في مراحل الابتلاء فيضيء لهم الله به ظلمات البلاء ويسيرون سير المسترشد بنور الوحي الذي لا يخشى الهلاك.

والصبر في الشريعة له منزلة عظيمة رفيعة كما قال الحسن -رحمه الله-: (الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.)

وقد أجاد وأفاد الإمام ابن القيم -قدس الله روحه- ببيان منزلة الصبر في كتاب عدة الصابرين بكلمات من نور الفهم لنصوص الوحي فقال :(فإن الله سبحانه جعل الصبر جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو وجندا لا يهزم وحصنا حصينا لا يهدم ولا يثلم..

فهو والنصر أخوان شقيقان فالنصر مع الصبر والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد..

ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب..

وأخبره أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتحه المبين فقال تعالى: ﴿**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾، فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة وفازوا بها بنعمة الباطنة والظاهرة..

وجعل سبحانه الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾..

وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكدا باليمن فقال تعالى: ﴿**وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ**﴾.

وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضر كيد العدو ولو كان ذا تسليط فقال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾..

وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه وصلاه إلى محل العز والتمكين فقال: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾..

وعلق الفلاح بالصبر والتقوى فعقل ذلك عنه المؤمنون فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾..

وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين فقال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾..

ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾..

وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على نوائب الدنيا والدين فقال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾..

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون فقال تعالى: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾..

وأخبر أن الرغبة في ثوابه والإعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها إلا أولو الصبر المؤمنون فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾..

وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي أحسن تجعل المسيء كأنه ولي حميم فقال: ﴿**وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾، وأن هذه الخصلة لا يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم..

وأخبر سبحانه مؤكدا بالقسم: ﴿**إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾..

وقسم خلقه قسمين أصحاب ميمنة وأصحاب مشأمة وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر والمرحمة.. وخص بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييز لهم بهذا الحظ الموفور فقال في أربع آيات من كتابه: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾، وعلق المغفرة والأجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسره عليه يسير فقال: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾..

وأخبر أن الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور فقال: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾..

وأمر رسوله بالصبر لحكمه وأخبر أن صبره إنما هو به وبذلك جميع المصائب تهون فقال: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾، وقال: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾..

والصبر آخيّة المؤمن التي يجول ثم يرجع إليها وساق إيمانه الذي اعتماد له إلا عليها فلا إيمان لمن لا صبر له وان كان فإيمان قليل في غاية الضعف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما إلا بالصفقة الخاسرة فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.)

رسالة من نور:

«وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأوسع من الصبر»

في هذا الحديث النبوي الشريف يبين النبي ﷺ لنا أن الصبر من أعظم وأوسع أبواب الخير والمكرمات والعطاء الإلهي، وأن سبيله هو الاستعانة بالله على مجاهدة النفس وتزكيتها حتى يصبح الصبر من صفاتها.. ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه–: إِنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سألوه فأعطاهم، حتى نفذ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأوسع من الصبر».

والناس في باب الصبر عند الابتلاء يتفاوتون على درجات مختلفة فمنهم من يحوز أرفع المراتب والدرجات ومنهم دون ذلك.. والسعيد من صبَّره الله ورزقه الصبر وأعانه في ذلك على مجاهدة نفسه بصدق وإخلاص.. فهؤلاء يبلغهم الله منازل الصابرين قال شيخ الإسلام فيما حكاه عنه تلميذه ابن القيم –قدس الله روحيهما– في طريق الهجرتين: (لأنَّ الصبر حبسُ النفسِ على المكروه، وعقلُ اللسان عن شكوى، ومكابدةُ الغصص في تحمّله، وانتظارُ الفرج عند عاقبته.. وهذا في طريق الخاصَّة تجلّد ومناوأة وجرأة ومنازعة.. فإنَّ حاصلَه يرجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى.. والحقيقةُ الخروجُ عن الشكوى بالتلذّذ بالبلوى، والاستبشارُ باختيار المولى.

وقيل: إنَّه على ثلاث مقامات مرتّبة بعضُها فوق بعض:

- فالأوَّل: التصبّر. وهو تحمُّل مشقَّةٍ، وتجرُّع غصّةٍ في الثبات على ما يجري من الحكم.. وهذا هو التصبّر لله، وهو صبر العوامّ.
- والثاني: الصبر، وهو نوعُ سهولةٍ تُخفِّف على المبتلى بعضَ الثقل، وتسهّل عليه صعوبةَ المراد. وهو الصبر لله، وهو صبر المريدين.
- والثالث: الاصطبار، وهو التلذّذ بالبلوى، والاستبشار باختيار المولى.. وهذا هو الصبر على الله، وهو صبر العارفين.)

فالصبر باب من أعظم أبواب السير إلى الله والثبات على ما يحبه الله وتحمل ما يلاقيه العبد من صعوبات ومشاق في هذه الحياة الدنيا قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "ووجدنا خير عيشنا بالصبر." الزهد لابن المبارك.

رسالة من نور:

الأسباب المعينة على الصبر في البلاء

تحت هذا العنوان أذكر بعض الأسباب المعينة على التحلي والالتزام بالصبر عند البلاء والمصائب عملاً بوصية النبي ﷺ: «ومن يتصبر يصبره الله»..

فقد ذكر الإمام ابن القيم –رحمه الله– في كتابه طريق الهجرتين فصلا نافعا في أسباب الصبر على البلاء فقال –رحمه الله–: (والصبر على البلاءِ ينشأ من أسباب عديدة:

أحدها: شهود جزائها وثوابها.

الثاني: شهود تكفيرها للسّيئات ومحوها لها.

الثالث: شهود القدر السابق الجاري بها، وأنَّها مقدّرة في أمّ الكتاب قبل أن تخلق، فلابد منها؛ فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

الرابع: شهوده حقَّ اللَّه عليه في تلك البلوى، وواجبه فيها، وهو الصبرُ بلا خلاف بين الأمّة، أو الصبر والرضا على أحد القولين. فهو مأمورٌ بأداء حقّ اللَّه وعبوديته عليه في تلك البلوى، فلابدَّ له منه، وإلا تضاعفت عليه.

الخامس: شهود ترتبها عليه بذنبه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ**﴾ [الشورى: ٣٠].

وهذا عام في كل مصيبة دقيقة وجليلة، فيشغله شهود هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظم الأسباب في رفع تلك المصيبة. قال علي بن أبي طالب: "ما نزل بلاءٌ إلّا بذنب، ولا رُفِع بلاءٌ إلّا بتوبة".

السادس: أن يعلم أنّ اللّه قد ارتضاها له واختارها وقسَمها، وأنّ العبودية تقتضي رضاه بما رضي له به سيدُه ومولاه. فإن لم يُوفِ هذا المقام حقَّه، فهو لضعفه؛ فلينزل إلى مقام الصبر عليها. فإن نزل عنه نزل إلى مقام الظلم وتعدَّي الحق.

السابع: أن يعلم أنّ هذه المصيبة هي دواءٌ نافع ساقه إليه الطبيبُ العليمُ بمصلحته الرحيمُ به، فليصبر على تجرّعه، ولا يتقيّأْه بتسخطه وشكواه، فيذهبَ نفعه باطلًا.

الثامن: أن يعلم أنّ في عُقبى هذا الدواءِ من الشفاءِ والعافية والصحّة وزوال الألم ما لا يحصل بدونه. فإذا طالعت نفسه كراهية هذا الدواءِ ومرارته فلينظر إلى عاقبته وحسن تأثيره. قال اللّه تعالى: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦]. وقال: ﴿**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩]. وفي مثل هذا قال القائل:

لعلَ عتبَك محمودٌ عواقبُه   وربّما صحّت الأجسامُ بالعِلَلِ

التاسع: أن يعلم أنّ المصيبة ما جاءَت لِتُهلِكَه وتقتلَه، وإنّما جاءَت لتمتحن صبره وتبتليه، فيتبيّن حينئذ هل يصلح لاستخدامه وجعله من أوليائه وحزبه أم لا؟ فإن ثبت اصطفاه واجتباه، وخلع عليه خِلَع الإكرام، وألبسه ملابس الفضل، وجعل

أولياءَه وحزبه خدَمًا له وعونًا له. وإن انقلب على وجهه ونكص على عقبيه طُرِدَ، وصُفِع قفاه، وأُقصي، وتضاعفت عليه المصيبة. وهو لا يشعر في الحال بتضاعفها وزيادتها، ولكن سيعلم بعد ذلك بأنّ المصيبة في حقّه صارت مصائب، كما يعلم الصابر أن المصيبة في حقّه صارت نعمًا عديدة. وما بين هاتين المنزلتين المتباينتين إلّا صبر ساعة، وتشجيع القلب في تلك الساعة. والمصيبة لا بدّ أن تقلع عن هذا وهذا، ولكن تقلع عن هذا بأنواع الكرامات والخيرات، وعن الآخر بالحرمان والخذلان. ذلك تقدير العزيز العليم، وفضل الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضل العظيم.

العاشر: أن يعلم أنّ الله سبحانه يربّي عبده على السرّاءِ والضرّاءِ، والنعمة والبلاءِ؛ فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال، فإنّ العبد على الحقيقة من قام بعبودية الله على اختلاف الأحوال. وأمّا عبد السرّاءِ والعافية الذي يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأنّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه؛ فليس من عَبيده الذين اختارهم لعبوديته. ولا ريب أنّ الإيمان الذي يثبت على محكّ الابتلاءِ والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأمّا إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبدَ ويبلّغه منازلَ المؤمنين، وإنّما يصحبه إيمانٌ يثبت على البلاء والعافية.

فالابتلاءُ كِيرُ العبد ومحكّ إيمانه: فأمّا أن يخرج تِبرًا أحمر، وإمّا أن يخرج زَغَلًا محضًا، وإما أن يخرج فيه مادّتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاءُ حتَّى يخرج المادّة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا.

فلو علم العبد أنَّ نعمة اللَّه عليه في البلاء ليست بدون نعمته عليه في العافية لشغلَ قلبَه بشكره ولسانه بقوله: "اللّهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". كيف لا يشكر مَن قيَّضَ له ما يستخرج به خَبَثه ونحاسه، ويُصيّره تِبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبرَ على البلاءِ، فإنْ قويت أثمرت الرضا والشكر. فنسأل اللَّه أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه.)

رسالة من نور:
﴿أولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

لو لم ينزل في باب الصبر على البلاء والمصائب إلا هذه الآية العظيمة لكفى.. فقد بشر الله فيها عباده الصابرين بالخير والأجر والعظيم بغير حساب وجمع لهم في هذه الآية أصول السعادة والفوز في الدارين فصلوات الله تتنزل عليهم ليخرجهم بها من الظلمات إلى النور **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾** [الأحزاب: ٤٣]..

واختصهم برحمة الله تغشاهم وتظلهم ويتنعمون بها في الدنيا والآخرة ويزكيهم ويطهرهم بها **﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [النور: ٢١].

وأنعم عليهم بالهداية فجعلهم من المهتدين إلى سبيله وصراطه المستقيم فأدخلهم بذلك من أوسع أبواب هدايته ونعمته وفضله التي فرض على العباد سؤالها سبع عشرة مرة يوميا في صلواتهم المكتوبة.. قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما عليه أهل الدنيا يتحاسدون فقال تعالى: **﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾**..)

وذكر الإمام البخاري تعليقا عن أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- أنه قال: نعم العدلان، ونعم العلاوة: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾.

وهذا الثواب العظيم يدلك أخي المبتلى على عظيم نعمة الصبر ورفيع درجتها عند الله فهي من أعظم المنازل والدرجات ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.. فلا يجزع ويتسخط من أقدار الله بعد هذا العطاء إلا محروم من الخاسرين نسأل الله العافية والسلامة.

رسالة من نور:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

لما أمر الله تبارك تعالى عباده بالصبر على تقلبات الأحوال وشدة البلاء وبَيَّنَ لهم أن الدنيا لا تدوم على حال رغبهم بالثبات ولزوم طاعته في مختلف الأحوال وحسن الظن به والتسليم لأقداره فقال الله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [القصص: ٨٣].

فعاقبة الأمور كلها بيد الله وحده وقد جعل خير عاقبة الأمور في هذه الحياة الدنيا والآخرة لعباده المتقين.. وهذا باب عظيم من أبواب الصبر والثبات في أيام المصائب.. فما هي إلا أيام معدودات وتنجلي ويعقبها البشريات التي تنسي العبد ما نزل به من ألم وشدة البلاء..

فالعاقل من العباد من صبر واحتسب على ما ينزل به من بلاء وانتظر حسن العاقبة وأكثر من الدعاء المأثور "اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة"، فالعبرة بخواتيم الأعمال والأمور بعواقبها فالخاتمة والعاقبة

الحســـنة ترفع صـــاحبها في الدارين كما صـــح عن رســـول الله ﷺ أنه قال: «وإنما الأعمال بالخواتيم». نسأل الله حسن العافية والعاقبة في الأمور كلها.

رسالة من نور:

«ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا»

إن أنســـب مكان للحديث عن اليقين بعد الحديث عن الصــبر فالصـــبر واليقين لا يفترقان فهما بمنزلة الجناحين للطائر لا يطير إلا بهما وقد قرن بينهما ربنا الرحمن في كتابه فقال: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَـــبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤].

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في رسـالة إلى أحد إخوانه: (وَقد أخبر سُـبْحَانَهُ أَن هَذِه الْإِمَامَة إِنَّمَا تنَال بِالصـــبرِ وَالْيَقِين فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَجَعَلنَا مِنْهُم أَئِمَّة يهْدُونَ بأمرنا لما صَبَرُوا وَكَانُوا بآيَاتِنَا يوقنون**﴾.

فبالصـبر وَالْيَقِين تنَال الْإِمَامَة فِي الدّين، فَقيل بِالصـبرِ عَن الدُّنْيَا، وَقيل بِالصـبرِ على الْبلَاء، وَقيل بِالصـبرِ عَن المناهي؛ وَالصَّـوَاب أَنه بِالصـبرِ عَن ذَلِك كُله بِالصـبرِ على أَدَاء فَرَائض الله وَالصَّبْر عَن محَارمه وَالصَّبْر على أقداره..

وَجمع سُـــبْحَانَهُ بَين الصَّـــبْر وَالْيَقِين إِذْ هما سَـــعَادَة العَبْد وفقدهما يفقده ســـعادته فَإِن الْقلب تطرقه طوارق الشَّـــهَوَات الْمُخَالفَة لأمر الله وطوارق الشُّـبُهَات الْمُخَالفَة لخبره فبالصـــبر يدْفع الشَّـــهَوَات وباليقين يدْفع الشُّـــبُهَات فَإِن الشَّـــهْوَة والشـــبهة مضـادتان للدّين من كل وَجه فَلَا ينجو من عَذَاب الله إِلَّا من دفع شـهواته بِالصـبرِ وشبهاته بِالْيَقِينِ.. وَلِهَذَا أخبر سُبْحَانَهُ عَن حبوط أَعمال أهل الشَّـهَوَات والشبهات

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**﴾، فَهَذَا الِاسْتِمْتَاع بالخلاق هُوَ استمتاعهم بنصيبهم من الشَّهَوَات ثمَّ قَالَ: ﴿**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**﴾، وَهَذَا هُوَ الْخَوْض بِالْبَاطِلِ فِي دين الله وَهُوَ خوض أهل الشُّبُهَات ثمَّ قَالَ: ﴿**أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ**﴾، فعلق سُبْحَانَهُ حبوط الْأَعْمَال والخسران بِاتِّبَاع الشَّهَوَات الَّذِي هُوَ الِاسْتِمْتَاع بالخلاق وباتباع الشُّبُهَات الَّذِي هُوَ الْخَوْض بِالْبَاطِلِ.)

وقد صح لنا عن رسولنا الكريم أنه كان قلما يقوم من مجلس إلا ويسأل الله فيما يسأله «ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا» فعن ابن عمر –رضي الله عنهما–، قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا». رواه الإمام الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

فاليقين الصحيح يورث العبد الرضا بقضاء الله وقدره فتهون عليه المصائب ويسلم لما قدره الله وقضاه فهو يستيقن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: (ولهذا جاء في الدعاء

المأثور: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا». وفي حديث الصديق الذي رواه أحمد والترمذي وغيرهما عن النبي ﷺ أنه قال: «سلوا الله العافية واليقين؛ فما أعطي أحد بعد اليقين شيئا خيرا من العافية؛ فسلوهما الله تعالى»..

فاليقين عند المصائب بعد العلم بأن الله قدرها سكينة القلب وطمأنينته وتسليمه وهذا من تمام الإيمان بالقدر خيره وشره كما قال تعالى: ﴿**ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه**﴾، قال علقمة: ويروى عن ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقوله تعالى: ﴿**يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾، هداه لقلبه هو زيادة في إيمانه؛ كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى**﴾، وقال: ﴿**إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾.)

وقال شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: (وفي الحديث المشهور الذي رواه أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قال: «سلوا الله اليقين والعافية فما أعطي أحد بعد اليقين شيئا خيرا من العافية فسلوهما الله.» فأهل اليقين إذا ابتلوا ثبتوا؛ بخلاف غيرهم فإن الابتلاء قد يذهب إيمانه أو ينقصه. قال تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون**﴾..

وأما كيف يحصل اليقين فبثلاثة أشياء: أحدها: تدبر القرآن. والثاني: تدبر الآيات التي يحدثها الله في الأنفس والآفاق التي تبين أنه حق. والثالث: العمل بموجب العلم..)

رسالة من نور:

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ علىَ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

تحمل هذه الآية الكريمة بشرى ورسالة ربانية من الله إلى عباده أن من يتوكل على الله التوكل الصحيح فإن الله يكفيه في شأنه كله ويكفيه ما أهمه وأغمه وكربه وييسر له أمره ويشرح له صدره.. فالتوكل عبادة عظيمة المنزلة عند الله فقد جعلها من أخص صفات عباده المرسلين وعباده الصالحين كما ذكر ذلك في قصصهم وأخبارهم في القرآن..

فقال الله تعالى عن نبي الله نوح –عليه الصلاة والسلام–: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ**﴾ [يونس: ٧١].

وقال الله تعالى عن نبي الله إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الممتحنة: ٤ – ٥].

وقال الله تعالى عن نبي الله موسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [يونس: ٨٤ - ٨٦].

وقال الله تعالى عن نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال الله تعالى عن حال أصحاب النبي ﷺ: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٣].

وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤١ - ٤٥]..

والآيات والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة جدا..

ونذكر من نصائح ورسائل النور من كلام العلماء في بيان عظيم منزلة التوكل وأثرها في حياة المفرد والمجتمع ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد: (التوكل على الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفعُ بها العبد ما لا يُطيقُ من أذى الخلق وظلمهم وعدْوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبُهُ، أي: كافيه، ومن كان اللهُ كافِيَهُ وواقِيَهُ، فلا مطمعَ فيه لعدوه، ولا يضرُّه إلا أذىً لا بدَّ منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يَضُرَّهُ بما يبلغُ منه مرادَه؛ فلا يكون أبدًا، وفَرْق بين الأذى الذي هو في الظاهر إيذاءٌ له وهو في الحقيقة إحسان إليه وإضرار بنفسه، وبين الضرر الذي يُتَشَّفى به منه.

قال بعض السلف: جعل اللهُ تعالى لكل عمل جزاءً من جنسه، وجعل جزاءَ التَّوَكُّل عليه نفس كفايته لعبده، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، ولم يقل: نُؤتِهِ كذا وكذا من الأجْرِ، كما قال في الأعمال، بل جعل نفسَه سبحانه كافِيَ عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكَّلَ العبدُ على الله تعالى حقَّ توكُّلِهِ، وكادَتْه السماوات والأرض ومن فيهن، لجعل له مخرجًا من ذلك، وكفاه ونصره.)

وقال -رحمه الله- في مدارج السالكين: (وَمِنْ أَحْسَنِ كَلَامِ الْعَامَّةِ قَوْلُهُمْ: "لَا هَمَّ مَعَ اللَّهِ"، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢]، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: مَخْرَجًا مِنْ كُلِّ شِدَّةٍ، وَهَذَا جَامِعٌ لِشَدَائِدِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَضَايِقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِلْمُتَّقِي مِنْ كُلِّ مَا ضَاقَ عَلَى النَّاسِ

وَاشْــتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَخْرَجًا، وَقَالَ الْحَسَــنُ: مَخْرَجًا مِمَّا نَهَاهُ عَنْهُ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْــبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، أَيْ كَافِي مَنْ يَثِقُ بِهِ فِي نَوَائِبِهِ وَمُهِمَّاتِهِ، يَكْفِيهِ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ، وَالْحَسْبُ الْكَافِي ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، كَافِينَا اللَّهُ.

وَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ، حَسَنَ الرَّجَاءِ لَهُ، صَادِقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَهُ فِيهِ الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ سُــبْحَانَهُ لَا يُخَيِّبُ أَمَلَ آمِلٍ، وَلَا يُضَــيِّعُ عَمَلَ عَامِلٍ، وَعَبَّرَ عَنِ الثِّقَةِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِالسَّعَةِ، فَإِنَّهُ لَا أَشْرَحَ لِلصَّدْرِ، وَلَا أَوْسَعَ لَهُ بَعْدَ الْإِيمَانِ مِنْ ثِقَتِهِ بِاللَّهِ وَرَجَائِهِ لَهُ وَحُسْنِ ظَنِّهِ بِهِ.)

وفي هذا المعنى ذكر أبو بكر محمد الطرطوشي المالكي (ت ٥٢٠هـ) في كتابه سراج الملوك: (قال جعفر بن محمد الصادق -رضي الله عنه-: عجبت لمن بلى بخمس كيف يغفل عن خمس عجبت لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه أن نقول: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الانبياء: ٨٣]. والله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ [الانبياء: ٨٤].

وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الانبياء: ٨٧]، والله تعالى يقول: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الانبياء: ٨٨].

وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]، والله تعالى يقول: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [غافر: ٤٤]، والله تعالى يقول: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾ [غافر: ٤٥].

وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه أن يقول: ﴿**مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [الكهف: ٣٩]، والله تعالى يقول: ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾ [الكهف: ٣٩]..

كذا سنة الله تبارك وتعالى فيمن صدق في التجائه إليه، ولم يتوكل في مهماته إلا عليه.)

ويحسن بي أن أنبه هنا على أن التوكل الصحيح هو ما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد: (وَكَذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ، يَوْمَ أُحُدٍ، لَمَّا قِيلَ لَهُمْ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنْ أُحُدٍ: «﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فَتَجَهَّزُوا وَخَرَجُوا لِلِقَاءِ عَدُوِّهِمْ، وَأَعْطَوْهُمُ الْكَيْسَ مِنْ نُفُوسِهِمْ»، ثُمَّ قَالُوا: ﴿**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فَأَثَّرَتِ الْكَلِمَةُ أَثَرَهَا، وَاقْتَضَتْ مُوجَبَهَا، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٢]، فَجَعَلَ التَّوَكُّلَ بَعْدَ

التَّقْوَى الَّذِي هُوَ قِيَامُ الْأَسْبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا، فَحِينَئِذٍ إِنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ، فَهُوَ حَسْبُهُ، وَكَمَا قَالَ فِي مَوْضِــــعٍ آخَرَ: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المائدة: ١١]، فَالتَّوَكُّلُ وَالْحَسْـــبُ بِدُونِ قِيَامِ الْأَسْـــبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا عَجْزٌ مَحْضٌ، فَإِنْ كَانَ مَشُـــوبًا بِنَوْعٍ مِنَ التَّوَكُّلِ، فَهُوَ تَوَكُّلُ عَجْزٍ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَ تَوَكُّلَهُ عَجْزًا، وَلَا يَجْعَلَ عَجْزَهُ تَوَكُّلًا، بَلْ يَجْعَلُ تَوَكُّلَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْـــبَابِ الْمَأْمُورِ بِهَا الَّتِي لَا يَتِمُّ الْمَقْصُودُ إِلَّا بِهَا كُلِّهَا.)

رسالة من نور:

«المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ على مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»

هذا الحديث الشريف من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ.. فقد جمع أصول الخير وراحة البال وسعادة النفس وصلاح الحال في الأحوال كلها وقد سطر الإمام ابن القيم -رحمه الله- كلمات من نور في بيان بعض فوائد هذا الحديث فقال في شفاء العليل: (فروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أَنِّي فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان».

فتضمن هذا الحديث الشريف أصولًا عظيمة من أصول الإيمان:

أحدها: أن الله سبحانه موصوف بالمحبة، وأنه يحب حقيقة.

الثاني: أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو القويُّ ويحب المؤمن القويَّ، وهو وِترٌ يحب الوتر، وجميل يحب الجمال، وعليم يحب العلماء، ونظيف يحب النظافة، ومؤمن يحب المؤمنين، ومحسن يحب المحسنين، وصابر يحب الصابرين، وشاكر يحب الشاكرين.

ومنها: أن محبته للمؤمنين تتفاضل، فيحب بعضهم أكثر من بعض.

ومنها: أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده، والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع، فإذا صادف ما ينتفع به الحريص كان حرصه محمودًا، وكماله كله في مجموع هذين الأمرين: أن يكون حريصًا، وأن يكون حرصه على ما ينتفع به، فإنْ حرص على ما لا ينفعه، أو فعل ما ينفعه بغير حرص؛ فاته من الكمال بحسب ما فاته من ذلك، فالخير كله في الحرص على ما ينفع.

ولما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه، أمره أن يستعين بالله؛ ليجتمع له مقام: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فإنَّ حرصه على ما ينفعه عبادة لله، ولا تتم إلا بمعونته، فَأَمَره بأن يعبده وأن يستعين به.

ثم قال: «ولا تعجز» فإن العجز ينافي حرصه على ما ينفعه، وينافي استعانته بالله، فالحريص على ما ينفعه، المستعين بالله: ضدُّ العاجز فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزِمَّة الأمور بيديه، ومصدرها منه، ومردّها إليه.

فإن فاته ما لم يُقدَّر له، فله حالتان: حالة عجز، وهي مفتاح عمل الشيطان، فيلقيه العجز إلى "لو"، ولا فائدة في "لو" ههنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه ﷺ عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قُدِّر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد، فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر، ومشيئة الربّ النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده، فلهذا قال: «فإن غلبك أمرٌ، فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل». فأرشده إلى ما ينفعه في الحالتين: حالة حصول مطلوبه، وحالة فواته.

فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد أبدًا، بل هو أشد شيء إليه ضرورة، وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار، والقيام بالعبودية ظاهرًا وباطنًا في حالتي حصول المطلوب وعدمه، وبالله التوفيق.)

فعلى العبد أن يستعين بالله وحده ويتوكل عليه ويجتهد في طاعته وملازمة تقواه في أحواله كلها وأن يبذل الجهد في تحصيل أسباب القوة في ذلك ولا يعجز.. وأن يصبر ويسلم لأقداره وما يصيبه في هذه الحياة.

رسالة من نور:

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

يحمل هذا النص القرآني رسائل من النور الرباني لأهل الابتلاء من حيث دلالة موقعه والسياق الذي جاء فيه ومن حيث دلالة معانيه.. فقد جاء هذا النص القرآني في خواتيم قصة نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام ليبين للعباد أن ما حدث في هذه القصة من أحداث وابتلاءات إنما كانت من لطف الله وبعلمه وحكمته.. فالله تبارك وتعالى لطيف لما يشاء: (يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها، **﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾**، الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، **﴿الْحَكِيمُ﴾** في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها) تفسير السعدي.

ومن جميل ما قيل في فوائد هذا النص القرآني ما كتبه الإمام ابن القيم -رحمه الله- في شفاء العليل: (ويشبه هذا قول يوسف الصديق: **﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَد جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيَ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾** [يوسف: ١٠٠]، فأخبر أنه يلطف لما يريده، فيأتي به بطرق خفية لا يعلمها الناس.

واسمه "اللطيف" يتضمن علمه بالأشياء الدقيقة وإيصاله الرحمة بالطرق الخفية، ومنه التلطف، كما قال أهل الكهف: **﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾**

[الكهف: ١٩]، فكان ظاهر ما امتحن به يوسف من مفارقة أبيه، وإلقائه في السجن، وبيعه رقيقًا، ثم مراودة التي هو في بيتها له عن نفسه، وكذبها عليه، وسجنه محنًا ومصائب، وباطنها نعمًا ومنحًا، جعلها الله سببًا لسعادته في الدنيا والآخرة.

ومن هذا الباب ما يبتلي به عباده من المصائب، ويأمرهم به من المكاره، وينهاهم عنه من الشهوات، هي طرق يوصلهم بها إلى سعادتهم في العاجل والآجل، وقد حُفّت الجنّة بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات، وقد قال ﷺ: «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك إلا للمؤمن»، فالقضاء كله خيرٌ لمن أُعْطِي الشكر والصبر، جالبًا ما جلب.

وكذلك ما فعله بآدم وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، من الأمور التي هي في الظاهر مِحَنٌ وابتلاء، وهي في الباطن طُرق خفية أوصلهم بها بلطفه إلى غاية كمالهم وسعادتهم.

فتأمل قصة موسى عليه السلام، وما لطف له من إخراجه في وقت ذبح فرعون الأطفال، ووحيه إلى أمه أن تلقيه في اليم، وسوقه بلطفه إلى دار عدوه الذي قدّر هلاكه على يديه، وهو يذبح الأطفال في طلبه، فربّاه في بيته وحجره على فراشه، ثم قَدَّرَ له سببًا أخرجه به من مصر، وأوصله به إلى موضع لا حكم لفرعون عليه، ثم قَدَّر له سببًا أوصله به إلى النكاح والغنى بعد العزوبة والعَيْلة، ثم ساقه إلى بلد عدوه فأقام عليه به حجَّته، ثم أخرجه وقومه في صورة الهاربين الفارين منه، وكان ذلك عين نصرتهم على أعدائهم وإهلاكهم وهم ينظرون.

وهذا كلّه مما يبيّن أنه سبحانه يفعل ما يفعله لما يريده من العواقب الحميدة، والحكم العظيمة التي لا تدركها عقول الخلق، مع ما في ضـــمنها من الرحمة التامة، والنعمة السابغة، والتعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته.

فكما في أكل آدم من الشـــجرة التي نُهي عنها، وإخراجه بســـببها من الجنة، مِن حكمة بالغة لا تهتدي العقول إلى تفاصيلها.

وكذلك ما قدَّره لسـيد ولده من الأمور التي أوصـله بها إلى أشـرف غاياته، وأوصـله بالطرق الخفية فيها إلى أحمد العواقب.

وكذلك فِعله بعباده وأوليائه، يوصـــل إليهم نعمه، ويســـوقهم إلى كمالهم وســـعادتهم في الطرق الخفية التي لا يهتدون إلى معرفتها إلا إذا لاحت لهم عواقبها.

وهذا أمر يضيق الجنان عن معرفة تفاصيله، ويحصر اللسان عن التعبير عنه، وأعرف خلق الله به أنبياؤه ورســـله، وأعرفهم به خاتمهم وأفضـــلهم، وأمته في العلم به على مراتبهم ودرجاتهم ومنازلهم من العلم بالله وأسمائه وصـــفاته، وهو ســـبحانه قد أحاط علمًا بذلك كله قبل خلق السماوات والأرض، وقدّره وكتبه عنده.)

رسالة من نور:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فيِ الأَمْرِ»

إن من الأمور الهامة التي ينبغي أن نذكر بها أنفسنا دوما ملازمة سؤال الله الثبات في جميع الأحوال والأوقات في السراء والضراء فإن حاجة العبد للثبات على الحق دائمة مستمرة حال الحياة وعند الممات وبعد الممات كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وعن شداد بن أوس قال سمعت من رسول الله ﷺ: «إذا اكتنز الناس الدنانير والدراهم، فاكتنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم، إنك أنت علام الغيوب». رواه ابن حبان وصححه الألباني.

فكثير من الناس إذا نزل به البلاء تجده يجتهد بالدعاء أن يرفع عنه ما نزل به من بلاء وهذا أمر جيد وأمر طيب، ولكن عليه أن يقرن ذلك بسؤال الله العافية والثبات على الهدى فقد رأينا من نزل به البلاء ولكنه بعد ارتفاع البلاء عنه انقلب على عقبيه وكان حاله في البلاء أفضل وأحسن له نسأل الله الثبات العافية والسلامة..

قال الشيخ سليمان العلوان –فك الله أسره–: (شيخ الإسلام ابن تيميَّة –رحمه الله تعالى– حين ذهب إلى البلاد المصريَّة وتواطأ أهل مِصْر على قتله فأتى إليه بعض

المحبّينَ له وقال: إن الملأ قد أعدُّوا عَدَدَهُم وعُدَدَهُم يريدون قتلك وكان متوسدًا على طَرْفٍ من الحصى فاسْتقْعَد -لو قيلت هذه المقولة لبعض الناس ربما احمر وجهه أو اصفر أو أغمي عليه في مكانه- فَاستقْعَد وأخذَ تُرابًا ثُمَّ نَفَخَه قال: إنْ هُم إلَّا كالتَّراب.. وقيل: أنَّه قال إن هم إلا كالذُّبَاب وحين سُجن قال ما يصنع بي أعدائي؟!

ليس كالواحد منَّا حين يُسجن يبحث عن واسطة تُخرجه ويقول: ربِّ أخرجني.. لا تقل ربِّ أخرجني قل: ربِّ ثبِّتنِي.. فبعض النَّاس إذا سُجن قال: ربِّ أخرجني، غَلَط، قُل: ربِّ ثبِّتني، كم من شخصٍ سُجِن وخرجَ فصارَ مُنْحلًّا عن عقيدته مُنحَرفًا ضالًّا زِندِيقًا أو فاسقًا أو عارًا على أهل الحق.

سَلِ الله الثَّبات ولا حرج أن تسأل بعد ذلك المخْرَج، لكن سَلِ الله الثَّبات، قد تخرُج وتكون مُنحرفًا، كم شخص سُجِن ودعا الله عز وجل في سجنه أن يُخرِجَه فخرج وصَار خبيثًا ووبالًا على هذه الأمَّة، فلذلك سَلِ الله الثَّبات، ولذلك قال شيخ الإسلام لما سجن: ما يصنع بأعدائي؟! إنْ سَجنُوني فسجني خلوة وإنْ قتلوني فقتلي شهادة، وإنْ أخرجوني فإخراجي سياحة، هذا أثر من آثار الإيمان بالأسماء والصِّفات.. فلابُدّ أنْ ندرس الأسماء والصِّفات وأن نُطبِّق ذلك في الأرض الواقع وتتمثل آثارها في واقعنا.. وإذا كنَّا نُؤمِن بالألفاظ دون المعاني ودون أن تَتمثَّل في أرض الواقع إذًا ما استفدنا من الإيمان بالأسماء والصِّفات.) فتاوى هامة لفضيلة الشيخ سليمان بن ناصر بن عبد الله العلوان.

فقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ»، يشمل الأحوال والأمور كلها فعليهما مدار الدين وصالح حال العبد كما قال ابن القيم -رحمه الله- في عدة الصابرين: (أن الدين مداره على أصلين: العزمُ والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذي رواه أحمد والنسائي عن النبي ﷺ: «اللهم إني أسألُك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد».

وأصل الشكر صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أُيِّد العبد بعزيمة وثبات، فقد أُيد بالمعونة والتوفيق.)

وقال أيضا -رحمه الله- في مفتاح دار السعادة: (ولهذا في الدعاء الذي رواه الإمام أحمد والنسائيُّ عن النبيّ ﷺ: «اللهم إني أسألُك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرُّشد».

وهاتان الكلمتان هما جِماعُ الفلاح، وما أُتِيَ العبدُ إلا من تضييعهما أو تضييع أحدهما، فما أُتِيَ أحدٌ إلا من باب العجلة والطَّيش واستفزاز البَدَوات له، أو من باب التهاون والتماوُت وتضييع الفرصة بعد مُواتاتها، فإذا حصلَ الثبات أوَّلًا والعزم ثانيًا أفلحَ كلَّ الفلاح، والله وليُّ التوفيق.)

من هنا وجدنا القرآن الكريم يعلمنا فيما حكاه لنا عن عباد الله الصالحين على مر العصور أنهم يستغيثون ويسألون الله الثبات والصبر قال تعالى عن أصحاب طالوت: ﴿**وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وقال تعالى عن أصحاب الأنبياء: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨].

وقال تعالى عن حال سحرة عن فرعون بعد إيمانهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال الله تعالى عن حال أصحاب وأتباع نبينا محمد ﷺ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة فإن الثبات خير ما يســـأل العبد ربه فقد كان من أكثر دعاء النبي ﷺ عن أنس قال: كان رســـول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رســـول الله، آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين أصـــبعين من أصـــابع الله يقلبها كيف يشاء». رواه الترمذي وصححه الألباني.

رسالة من نور:

﴿مَا أصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

تبين وتقرر هذه الآية العظيمة أصلا وأساسا متينا في عقيدة العبد المؤمن أن ما من مصيبة تقع في هذه الدنيا أو في النفس أو الأهل أو المال أو غير ذلك فبإذن الله وحكمته سبحانه وتعالى ولا ترفع إلا بإذنه ورحمته سبحانه وتعالى قال الله تعالى: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [الحديد: ٢٢ - ٢٣]..

وفي بيان هذا المعنى العظيم يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- في التفسير: (يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾** [الحديد: ٢٢]، وهكذا قال هاهنا: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**، قال ابن عباس: بأمر الله، يعني: عن قدره ومشيئته.

وقال الأعمش، عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة فقرئ عنده هذه الآية: **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾**، فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقال سعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾، يعني: يسترجع، يقول: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦].

وفي الحديث المتفق عليه: «عجبا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

وقال أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح؛ أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول: سمعت عبادة بن الصامت يقول: أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وتصديق به، وجهاد في سبيله». قال: أريد أهون من هذا يا رسول الله. قال: «لا تتهم الله في شيء، قضى لك به».)

فالعبد المؤمن مأمور أن يفعل الواجبات وأن يجتنب المحرمات ولا يحتج بالقدر على التقصير والذنوب وأما عند المصائب والبلايا مأمور أن يرجع للقدر وقد قرر هذا الأصل شيخ الإسلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: (والعبد مأمور عند المصائب أن يرجع للقدر فإن سعادة العبد أن يفعل المأمور ويترك المحظور ويسلم للمقدور قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ**﴾، قال ابن مسعود: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.

فالسعيد يستغفر من المعائب ويصبر على المصائب كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، والشقي يجزع عند المصائب ويحتج بالقدر على المعائب.)

وقال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في شرح العقيدة الطحاوية: ([حَدِيثُ احْتِجَاجِ آدَمَ عَلَى مُوسَى وَبَيَانُ مَعْنَاهُ]: فَإِنْ قِيلَ: فَمَا تَقُولُونَ فِي احْتِجَاجِ آدَمَ عَلَى مُوسَى عليهما السلام بِالْقَدَرِ، إِذْ قَالَ لَهُ: أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ عَامًا؟ وَشَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ آدَمَ حَجَّ مُوسَى، أَيْ: غَلَبَ عَلَيْهِ بِالْحُجَّةِ.

قِيلَ: نَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، لِصِحَّتِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا نَتَلَقَّاهُ بِالرَّدِّ وَالتَّكْذِيبِ لِرَاوِيهِ، كَمَا فَعَلَتِ الْقَدَرِيَّةُ، وَلَا بِالتَّأْوِيلَاتِ الْبَارِدَةِ. بَلِ الصَّحِيحُ أَنَّ آدَمَ لَمْ يَحْتَجَّ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ عَلَى الذَّنْبِ، وَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِرَبِّهِ وَذَنْبِهِ، بَلْ آحَادُ بَنِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَحْتَجُّ بِالْقَدَرِ، فَإِنَّهُ بَاطِلٌ. وَمُوسَى عليه السلام كَانَ أَعْلَمَ بِأَبِيهِ وَبِذَنْبِهِ مِنْ أَنْ يَلُومَ آدَمَ عَلَى ذَنْبٍ قَدْ تَابَ مِنْهُ وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَاجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ، وَإِنَّمَا وَقَعَ اللَّوْمُ عَلَى الْمُصِيبَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْ أَوْلَادَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَاحْتَجَّ آدَمُ بِالْقَدَرِ عَلَى الْمُصِيبَةِ، لَا عَلَى الْخَطِيئَةِ، فَإِنَّ الْقَدَرَ يُحْتَجُّ بِهِ عِنْدَ الْمَصَائِبِ، لَا عِنْدَ الْمَعَائِبِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْحَدِيثِ. فَمَا قُدِّرَ مِنَ الْمَصَائِبِ يَجِبُ الِاسْتِسْلَامُ لَهُ، فَإِنَّهُ مِنْ تَمَامِ الرِّضَى بِاللَّهِ رَبًّا، وَأَمَّا الذُّنُوبُ فَلَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يُذْنِبَ، وَإِذَا أَذْنَبَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ. فَيَتُوبَ مِنَ الْمَعَائِبِ، وَيَصْبِرَ عَلَى الْمَصَائِبِ. قَالَ تَعَالَى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾.)

فمن هداه الله لهذا الأصل العظيم انشرح صدره وسلم أمره لربه ورضي بقدره واطمأن واستقر الإيمان والهدى في قلبه حقق وصية رسول الله ﷺ لابن عباس –رضي الله عنه–: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

رسالة من نور:

«عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له»

إن للعبد المؤمن عند الله تبارك وتعالى منزلة عظيمة خصَّــه بها عن ســائر العباد فقد جعل أمره كله يدور في درجات ومنازل الخير والثواب وليس ذلك إلا للمؤمن الذي آمن بالله وأقداره وقضــائه وســلم أمره واســتســلم لله وحده في جميع أحواله وتقلبات أموره فتجده في الســراء شــاكرا لله وتجده في الضــراء صــابرا على ما قدره الله عليه بحكمته فهو يؤمن بأن الله أرحم به من أمه وأبيه ونفســه التي بين جنبيه قال رســول الله ﷺ: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصــابته ســراء شــكر، فكان خيرا له، وإن أصــابته ضــراء، صــبر فكان خيرا له». رواه مسلم.

وروى الإمام النسائي عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا حُضِرَتْ بِنْتٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ صَغِيرَةٌ، فَأَخَذَهَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ فَضَـمَّهَا إِلَى صَـدْرِهِ، ثُمَّ وَضَـعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَقَضَـتْ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَكَتْ أُمُّ أَيْمَنَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ أَيْمَنَ، أَتَبْكِينَ وَرَسُـــولُ اللهِ ﷺ عِنْدَكِ؟» فَقَالَتْ: مَا لِي لَا أَبْكِي وَرَسُـــولُ اللهِ ﷺ يَبْكِي؟ فَقَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَسْـــتُ أَبْكِي وَلَكِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ قَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ:

«الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ عز وجل».

صححه الألباني.

وفي تقرير هذا المعنى العظيم قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (جعل اللهُ سبحانه وتعالى عبادَه المؤمنين بكل منزلة خيرًا منه، فهم دائمًا في نعمةٍ من ربهم، أصابَهم ما يُحِبُّون أو ما يكرهون، وجعل أقضيته وأقداره التي يقضيها لهم ويُقدرها عليهم متاجرَ يَربحون بها عليه، وطُرُقًا يصلون منها إليه، كما ثبت في الصحيح عَن إمامهم ومتبوعهم -الذي إذا دُعي يوم القيامة كل أناسٍ بإمامهم دُعُوا به صلواتُ الله وسلامه عليه- أنه قال: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله عجب، ما يقضي الله له من قضاء إلاّ كان خيرًا له، إن أصابته سرَّاءُ شكَرَ فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضرَّاءُ صَبَرَ فكان خيرًا له».

فهذا الحديث يَعمُّ جميعَ أَقضيتِه لعبده المؤمن، وأنها خير له إذا صبر على مكروهها وشكرَ لمحبوبها، بل هذا داخلٌ في مسمى الإيمان، فإنه كما قال السلف: الإيمان نصفان، نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾، وإذا اعتبر العبدُ الدينَ كلَّه رآه يَرجِعُ بجملته إلى الصبر والشكر..) جامع المسائل.

رسالة من نور:

﴿إنَّ مَعَ العسر يُسْراً﴾

إن هذه الآية الكريمة تبث الأمل والبشرى في نفوس أهل البلاء والمصائب فقد جعل الله من واسع وعظيم رحمته بعباده أن مراحل العسر والكرب محدودة وجعل لها أجلا تنتهي إليه يعقبها بعده الفرج واليسر كما بشرهم ووعدهم –ووعده حق وصدق لا يتخلف– بقوله: ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٧]، وكما علَّمَ ذلك رسول الله ﷺ أمته في الحديث المشهور عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: كنت خلف النبي ﷺ فقال لي: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

وروى الإمام مالك في الموطأ عن زيد بن أسلم؛ قال: (كتب أبو عبيدة بن الجراح، إلى عمر بن الخطاب، يذكر له جموعا من الروم، وما يتخوف منهم. فكتب إليه عمر: أما بعد، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة، يجعل الله له بعده فرجا.

وإنه لن يغلب عسر يسرين. وأن الله يقول في كتابه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.)

ومن جميل كلمات النور التي قيلت في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾، ما سطره العلامة أبو السعود -رحمه الله- في تفسيره حيث قال: (﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾، تقرير لما قبله ووعده كريمٌ بتيسيرِ كُلِّ عسيرٍ له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنينَ كأنَّه قيلَ خوَّلناكَ ما خوَّلناكَ من جلائلِ النعمِ فكُنْ على ثقةٍ بفضلِ الله تعالَى ولطفِه فإن مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمته معَ إشعارٌ بغايةِ سرعةِ مجيءِ اليسرِ كأنَّه مقارنٌ للعسرِ.

﴿**إِنَّ مَعَ العسر يُسْراً**﴾، تكريرٌ للتأكيدِ أو عدةٌ مستأنفةٌ بأنَّ العسرَ مشفوعٌ بيسرٍ آخرَ كثوابِ الآخرةِ كقولك إن للصائم فرحتان للصائم فرحةً أيَّ فرحة عندَ الإفطارِ وفرحةً عندَ لقاءِ الربِّ.. فإنَّ المعرَّفَ إذَا أعيدَ يكونُ الثاني عينَ الأولِ سواءً كانَ معهوداً أو جنساً وأما المنكرُ فيحتملُ أنْ يرادَ بالثانِي فردٌ مغايرٌ لما أريدَ بالأولِ.)

وبنحو ذلك قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد: (﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً**﴾، فالعسر وإن تكرر مرتين فتكرر بلفظ المعرفة فهو واحد واليسر تكرر بلفظ النكرة فهو يسران فالعسر محفوف بيسرين يسر قبله ويسر بعده فلن يغلب عسر يسرين.)

فهذا وعد الله لعباده بأن العسر يعقبه يسر فلا مجال لليأس والقنوط من رحمة الله.. فما هي إلا مرحلة اختبار وابتلاء وتزول بيسر الفرج ويسر الأجر الثواب -بإذن الله- (ومما يروى عن الشافعي-رضي الله عنه- أنه قال:

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا   من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى   ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد: أنشدني أبو حاتم السجستاني:

إذا اشتملت على اليأس القلوب   وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت   وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها   ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث   يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت   فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى   ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكان يظنها لا تفرج)

انظر تفسير ابن كثير.

ومن جميل كلمات النور في هذا المعنى ما قاله الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- في صيد الخاطر: (واعلم أن زمان الابتلاء ضيف، قراه الصبر، كما قال أحمد بن حنبل: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنما أيام قلائل.)

رسالة من نور:
﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

إن لهذه الآية الكريمة أثرا كريما وكبيرا في حياتي فكم من نازلة نزلت بي فتذكرت فيها هذه الآية وما ذكره الإمام ابن القيم -رحمه الله- في معناها فخفف الله عني بذلك ما أكون فيه بلطفه وفضله ورحمته.. فهذه الآية فيها الأمل والبشرى من الله لكل مؤمن به ومشتاق إلى لقائه بإن ذلك قريب وكائن لا محالة فما على العبد إلا مجاهدة نفسه في طاعة الله في السراء والضراء حتى يلقى الله في خير حال وفي ذلك يقول الإمام القيم -رحمه الله- في زاد المعاد في هدي خير العباد: (ولما كان الألم لا محيص منه البتة، عزى الله سبحانه من اختار الألم اليسير المنقطع على الألم العظيم المستمر، بقوله: **﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [العنكبوت: ٥]، فضرب لمدة هذا الألم أجلا، لا بد أن يأتي، وهو يوم لقائه، فيلتذ العبد أعظم اللذة بما تحمل من الألم من أجله وفي مرضاته، وتكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم في الله ولله، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه ليحمل العبد اشتياقه إلى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الألم العاجل، بل ربما غيبه الشوق إلى لقائه عن شهود الألم والإحساس به، ولهذا سأل النبي ﷺ ربه الشوق إلى لقائه، فقال في الدعاء الذي رواه أحمد وابن حبان: «اللهم إني أسألك بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني إذا كانت الحياة خيرا

لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى، وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضى بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك، وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين».

فالشوق يحمل المشتاق على الجد في السير إلى محبوبه، ويقرب عليه الطريق، ويطوي له البعيد، ويهون عليه الآلام والمشاق، وهو من أعظم نعمة أنعم الله بها على عبده، ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال هما السبب الذي تنال به، والله سبحانه سميع لتلك الأقوال، عليم بتلك الأفعال، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة ويشكرها ويعرف قدرها ويحب المنعم عليه، فتصلح عنده هذه النعمة، ويصلح بها كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]، فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربه فليقرأ على نفسه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

ثم عزاهم تعالى بعزاء آخر، وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم، وثمرته عائدة عليهم، وأنه غني عن العالمين، ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم لا إليه سبحانه، ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وإيمانهم في زمرة الصالحين.)

رسالة من نور:
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

كنت كتبت قديما خاطرة حول هذه الآية وأثرها في حياة أهل البلاء وأرى من المناسب ذكرها هنا.. قلت فيها:

قرأت بالأمس قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ فعادت بي الذكريات إلى تلك الأيام التي قضيتها في الزنازين الانفرادية بجوار شيخنا أبي محمد المقدسي –حفظه الله–..

فهذه الآية الكريمة من أكثر الآيات التي كان يرددها على مسامعنا شيخنا المفضال أبو محمد المقدسي –حفظه الله– في السجن الانفرادي (الزنازين) يصبر بتلاوتها من نافذة زنزانته الإخوة حوله ويبشرهم باقتراب الفرج..

فقد كان يتلوها بصوت مرتفع يهدم به جدران الصمت –الذي يشبه صمت المقابر– خاصة وقت الغروب قبيل أخذ جنود الطاغوت الإخوة للتحقيق أو التعذيب وقد كان يتلوها –حفظه الله– بصوته المرتفع.. رغم منع إدارة السجن –قاتلها الله– رفع الصوت ولو بالصلاة وتلاوة القرآن فقد كانوا يعاقبون من يفعل ذلك ولكنه –حفظه الله– كان من القلة القليلة التي كانت ترفع صوتها وتصدع بما يصبر الإخوة ويثبتهم على الحق..

فقد كانت تلاوته لهذه الآية تبعث في النفس -بفضل الله- الأمل بالفرج وتنفيس الكرب وتبعث في النفس داعي الثبات والصبر على الحق فالفرج من عند الله الذي يعلم ما يصلح عبده وينفعه فما عليه إلا الصبر وحسن الظن بالله وسؤاله تبارك وتعالى الثبات فهو أرحم به من أحب الناس إليه..

فهذه الآية الكريمة من أكثر الآيات التي تبعث في النفس الأمل وانتظار الفرج وتنفيس الكرب فالأمور كلها بيد علام الغيوب الذي يعلم ما يصلح العباد فإنه بعباده خبير بصير فقد سبقت رحمته غضبه كما في الصحيح عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي»..

وقد قضى الرحمن تبارك وتعالى أن مع العسر يسرا ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾.

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا».

وعن الحسن قال: كانوا يقولون: لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين.

فيا من ضاق به الأمر وظن انقطاع السبل لا تيأس من روح الله ولا تقنط من رحمته فاصبر واحتسب وأحسن الظن بربك وأحسن العمل واستعن بالله ولا تعجز فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمته إلا القوم الضالون..

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

وردد دوما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

رسالة من نور:
﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾

مضت سنة الله في خلقه أن الدنيا لا تدوم على حال فهي متقلبة ومتغيرة الأحوال فهي دار اختبار وابتلاء وهي إلى زوال وفناء ثم المصير إلى دار القرار والجزاء كما قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وروى الإمام ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾، قال: «من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويرفع قوما، ويخفض آخرين». حسنه الألباني.

وفي الصحيح عن أنس -رضي الله عنه-، قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء، لا تسبق -قال حميد: أو لا تكاد تسبق- فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «حق على الله أن لا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه».

وقد أحسن من قال:

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول   من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لا تبقي على أحد   ولا يدوم على حال لها شان

فالعبد المؤمن يربي نفسه وفق هذه السنة الربانية في هذه الحياة فلا يجزع ولا يتسخط في البلاء ولا يتكبر ويفجر في السـراء ولكنه يلازم في أحواله كلها منزلة الصبار الشكور فهو يعلم أن دوام الحال من المحال وأن العاقبة للمتقين ومن رسائل النور التي سطرها ابن القيم -رحمه الله- في هذا المعنى قوله في طريق الهجرتين: (قاعدة: إذا ابتلى اللّه عبدَه بشيء من أنواع البلايا والمحن فإنْ ردّه ذلك الابتلاءُ والامتحان إلى ربّه، وجمعه عليه، وطرحه ببابه، فهو علامة سعادته وإرادة الخير به.

والشـدّة بَتْراءُ لا دوام لها وإن طالت، فتقلع عنه حين تقلع، وقد عُوِّض منها أجل عوض وأفضلَه، وهو رجوعُه إلى اللّه بعد أن كان شاردًا عنه، وإقبالُه عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحُه على بابه وقد كان عنه معرضًا، وللوقوف على أبواب غيره متعرّضًا.

وكانت البلية في حقّ هذا عين النعمة، وإن ساءَته، وكرهها طبعه، ونفرت منها نفسه.

فربّما كان مكروهُ النفوسِ إلى　　محبوبِها سببًا ما مثله سببُ

وقوله تعالى في ذلك هو الشفاءُ والعصمة: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٦].

وإن لم يردَّه ذلك البلاءُ إليه، بل شــرّد قلبَه عنه، وردّه إلى الخلق، وأنســاه ذكرَ ربِّه، والضــراعةَ إليه، والتذلّلَ بين يديه، والتوبةَ والرجوع إليه؛ فهو علامة شــقاوته وإرادة الشرّ به.

فهذا إذا أقلع عنه البلاءُ ردّه إلى حكم طبيعته، وســلطان شــهوته، ومرحه وفرحه؛ فجاءَت طبيعتُه عند القدرة بأنواع الأشَــر والبطَر والإعراض عن شــكر المنعم عليه بالسرّاء، كما أعرض عن ذكره والتضرّع إليه في الضرّاءِ. فبليةُ هذا وبالٌ عليه وعقوبة ونقص في حقّه، وبليةُ الأوّل تطهير له ورحمة وتكميل. وبالله التوفيق.)

رسالة من نور:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا﴾

تبين هذه الآية الكريمة أن من رحمة الله بعباده أنه جعل ما يصيبهم في هذه الدنيا من بلاء ومصائب كفارة لما عملوا من سيئات قال العلامة السعدي -رحمه الله-: (قال تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾، وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل لأي ذنب كان من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضا لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي.

والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمن كان عمله كله سوءا وذلك لا يكون إلا كافرا. فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم.

ومن كان عمله صالحا، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى وبعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك -فإنها مكفرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، قيضها الله لطفا بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة.

وهذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلت على ذلك النصوص.)

ولما نزلت هذه الآية أصاب المسلمين شدة عظيمة فخفف الله عنهم وبشرهم النبي ﷺ بأن كل ما يصاب به المسلم كفارة له ففي الصحيح عن أبي هريرة، قال: لما نزلت ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣]، بلغت من المسلمين مبلغا شديدا، فقال رسول الله ﷺ: «قاربوا، وسددوا، ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة، حتى النكبة ينكبها، أو الشوكة يشاكها».

وعن أبي بكر بن أبي زهير، قال: أخبرت أن أبا بكر قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣]، فكل سوء عملنا جزينا به؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر، ألست تمرض؟ ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟» قال: بلى. قال: «فهو ما تجزون به». رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه.

وقد ورد في صحيح السنة تأكيد هذا المعنى في أحاديث كثيرة أذكر منها:

عن أبي هريرة، يقول: قال رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيرا يصب منه».

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه».

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة».

وعن أبي الأشعث الصنعاني، أنه راح إلى مسجد دمشق وهجر بالرواح، فلقي شداد بن أوس والصنابحي معه، فقلت: أين تريدان يرحمكما الله؟ قالا: نريد هاهنا إلى أخ لنا مريض نعوده. فانطلقت معهما حتى دخلا على ذلك الرجل، فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت بنعمة. فقال له شداد: أبشر بكفارات السيئات وحط الخطايا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل يقول: إني إذا ابتليت عبدا من عبادي مؤمنا، فحمدني على ما ابتليته، فإنه يقوم من مضجعه ذلك كيوم ولدته أمه من الخطايا، ويقول الرب عز وجل: أنا قيدت عبدي، وابتليته، فأجروا له كما كنتم تجرون له وهو صحيح».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة».

رسالة من نور:

الابتلاء يرفع الدرجات

ذكرنا في المبحث السابق أن المصائب تكفر خطايا العبد المؤمن حتى يصل الحال بالبعض أن يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة.. وفي هذا المبحث نذكر ونبين أن الابتلاء يكون كذلك لرفع الدرجات وزيادة الثواب والحسنات فليس مقتصرا على تكفير الخطايا والسيئات عن محمد بن خالد، عن أبيه عن جده -وكان لجده صحبة-: أنه خرج زائرا لرجل من إخوانه، فبلغه شكاته، قال: فدخل عليه، فقال: أتيتك زائرا عائدا ومبشرا. قال: كيف جمعت هذا كله؟ قال: خرجت وأنا أريد زيارتك، فبلغتني شكاتك، فكانت عيادة، وأبشرك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: «إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبره حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له منه». رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني.

وروى ابن حبان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل لتكون له عند الله المنزلة، فما يبلغها بعمل، فلا يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها».

وفي الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء، إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه، إلا الجنة».

وفي الصحيحين عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع،

وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها.

والأحاديث في تقرير هذا المعنى العظيم كثيرة وفيما ذكرنا كفاية بإذن الله.. فالمصائب لعباد الله الصابرين مكفرات للخطايا والسيئات رافعات للدرجات والحسنات فلا جزع ولا يأس ولا تسخط على ما يقدره الله لعبده المؤمن فالبلاء وإن كان في ظاهره المشقة فباطنه فيه الرحمة فمتى انتظر العبد العاقبة والأجر هان عليه البلاء فعن ابن عباس، قال: لما حُضِرَت بنتٌ لرسول الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسول الله ﷺ، فضمها إلى صدره، ثم وضع يده عليها فقضت، وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فبكت أم أيمن، فقال لها رسول الله ﷺ: «يَا أُمَّ أَيْمَنَ أَتَبْكِينَ وَرَسُولُ الله ﷺ عِنْدَكِ؟» فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَسْتُ أَبْكي، وَلكِنَّها رَحْمَةٌ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «المؤمِنُ بخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تُنْزعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْن جَنْبَيْه وَهُوَ يَحْمَدُ الله عز وجل». رواه النسائي وصححه الألباني.

رسالة من نور:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ علىَ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ علىَ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

تأتي الفتن والمصائب مميزة وممحصة للعباد تظهر للعبد حقيقته ومنزلته عند الله فكثير من الناس يعبد الله على حرف (حال السراء) فإذا ابتلي بالمصائب والمكاره جزع وقنط من رحمة الله وتسخط واعترض على قدر الله فانقلب على وجهه وظهر على حقيقته ومنزلته كما قال الله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾** [الحج: ١١].

وقال تعالى: **﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** [العنكبوت: ١ - ٤].

وقال الله تعالى: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ**

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ * وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠ - ١١].

وفي تقرير هذا المعنى قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في طريق الهجرتين: (أن يعلم أنّ اللَّه سبحانه يربّي عبده على السرّاءِ والضرّاءِ، والنعمة والبلاءِ؛ فيستخرج منه عبوديته في جميع الأحوال، فإنّ العبد على الحقيقة من قام بعبودية اللَّه على اختلاف الأحوال. وأمّا عبد السرّاءِ والعافية الذي يعبد اللَّه على حرف، فإن أصابه خير اطمأنّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه؛ فليس من عَبيده الذين اختارهم لعبوديته.

ولا ريب أنّ الإيمان الذي يثبت على محكّ الابتلاءِ والعافية هو الإيمان النافع وقت الحاجة، وأمّا إيمان العافية فلا يكاد يصحب العبدَ ويبلّغه منازلَ المؤمنين، وإنّما يصحبه إيمانٌ يثبت على البلاء والعافية.

فالابتلاءُ كِيرُ العبد ومحكّ إيمانه: فإمَّا أن يخرج تِبرًا أحمر، وإمَّا أن يخرج زَغَلًا محضًا، وإما أن يخرج فيه مادّتان ذهبية ونحاسية، فلا يزال به البلاءُ حتَّى يخرج المادّة النحاسية من ذهبه، ويبقى ذهبًا خالصًا.

فلو علم العبد أنَّ نعمة اللَّه عليه في البلاء ليست بدون نعمته عليه في العافية لشغلَ قلبَه بشكره ولسانه بقوله: "اللّهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". وكيف لا يشكر مَن قيَّضَ له ما يستخرج به خَبَثه ونحاسه، ويُصيّره تِبرًا خالصًا يصلح لمجاورته والنظر إليه في داره؟

فهذه الأسباب ونحوها تثمر الصبرَ على البلاءِ، فإنْ قويت أثمرت الرضا والشكر. فنسأل اللَّه أن يسترنا بعافيته، ولا يفضحنا بابتلائه بمنّه وكرمه.)

وقال الله تعالى: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾. [آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢].

وهذه الآيات تقرر المعنى السابق أن البلايا والفتن تأتي ممحصة ومميزة للعباد وقد سطر العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره كلاما نفيسا من نور في هذا المعنى فقال: (﴿**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

﴿**وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ**﴾ وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، ﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ الذين ظلموا أنفسهم،

وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهذا أيضا من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببا لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانا إلى طغيانهم، يستحقون به المعاجلة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين.

ثم قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾**، هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحا يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.)

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- في صيد الخاطر: (فأما من يريد أن تدوم له السلامة، والنصر على من يعاديه، والعافية من غير بلاء، فما عرف التكليف، ولا فهم التسليم.

أليس الرسول ﷺ ينصر يوم بدر، ثم يجري عليه ما جرى يوم أحد؟! أليس يصد عن البيت ثم قهر بعد ذلك؟!

فلا بد من جيد ورديء، والجيد يوجب الشكر، والرديء يحرك إلى السؤال والدعاء؛ فإن امتنع الجواب، أريد نفوذ البلاء، والتسليم للقضاء.

وها هنا يبين الإيمان، ويظهر في التسليم جواهر الرجال. فإن تحقق التسليم باطنًا وظاهرًا، فذلك شأن الكامل. وإن وجد في الباطن انعصار من القضاء لا من المقضي -فإن الطبع لا بد أن ينفر من المؤذي؛ دل على ضعف المعرفة، فإن خرج الأمر إلى الاعتراض باللسان، فتلك حال الجهال، نعوذ بالله منها.)

رسالة من نور:

«أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»

هذا الحديث الصحيح يحمل نورا عظيما وأجرا كبيرا وتسلية وتصبيرا للعبد المبتلى، فحقيق بالعبد المبتلى أن يجعله نصب عينه ويتدبر ويتفكر في معانيه وما حمله من بشريات وقد قال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ». رواه الترمذي وحسنه.

وثبت عن النبي ﷺ أنَّه قال: «يبتلى المرءُ على حسب دينه، فإنْ كان في دينه صلابة شُدِّدَ عليه البلاء، وإنْ كان في دينه رقَّة خفِّف عنه البلاءُ».

وعن جابر –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: «يود أهل العافية يوم القيامة، حين يعطى أهل البلاء الثواب؛ لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض».

فالابتلاء في هذه الحالات والصور سبب لعلو الدرجة وعظيم الأجر كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: (فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنا صالحا، ومع غيره موصيا بالحق موصيا بالصبر،

وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سببا لعلو الدرجة وعظيم الأجر، كما سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على وجه الأرض وليس عليه خطيئة»، وحينئذ فيحتاج من الصبر مالا يحتاج إليه غيره، وذلك هو سبب الإمامة في الدين، كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ [السجدة: ٢٤].

فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور به وترك السيئ المحظور، ويدخل في ذلك الصبر على الأذى وعلى ما يقال، والصبر على ما يصيبه من المكاره، والصبر عن البطر عند النعم، وغير ذلك من أنواع الصبر.

ولا يمكن للعبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن به ويتنعم به ويغتذي به، وهو اليقين، كما في الحديث الذي رواه أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ، أنه قال: «يا أيها الناس، سلوا الله اليقين والعافية، فإنه لم يعط أحد بعد اليقين خيرا من العافية، فسلوهما الله».)

رسالة من نور:

الابتلاء وأثره في التخلص من آفات النفس والعجب والكبر

إن من الحكم العظيمة من الابتلاء والمصائب أنها تعرف الإنسان على حقيقته وضعفه وفقره لربه تبارك وتعالى.. فالإنسان في حالة النعمة والرخاء ينسى حقيقة فقره لمولاه وأنه لا غنى له عنه طرفة عين وأنه لا حول ولا قوة له إلا بالله فيدخل إلى قلبه العجب فيفسده فتأتي نعمة الابتلاء لتحطم هذا العجب والغرور وتعيده إلى الصراط المستقيم صراط الاستعانة والعبودية لله تبارك وتعالى وتعرفه حقيقة نفسه..

فالعجب داء خطير حذر منه أئمة الإسلام أشد تحذير وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: (وكثيرا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب فالرياء من باب الإشراك بالخلق والعجب من باب الإشراك بالنفس وهذا حال المستكبر فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، فمن حقق قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾، خرج عن الرياء ومن حقق قوله ﴿**وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، خرج عن الإعجاب وفي الحديث المعروف: "ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه".)

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في الفوائد: (فلا شيءَ أفسدُ للأعمال من العُجْب ورؤية النفس.

فإذا أراد الله بعبده خيرًا أشـــهده منتَه وتوفيقه وإعانتَه له في كل ما يقوله ويفعله، فلا يُعجَب به، ثم أشـــهده تقصـــيره فيه، وأنه لا يرضـــى لربه به، فيتوب إليه منه ويستغفره ويستحيي أن يطلب عليه أجرًا. وإذا لم يُشـهِده ذلك، وغيَّبهُ عنه، فرأى نفســه في العمل، ورآه بعين الكمال والرضــى، لم يقع ذلك العمل منه موقع القبول والرِّضى والمحبة.

فالعارفُ يعمل العمل لوجهه، مشـــاهدًا فيه منته وفضـــلهُ وتوفيقه معتذرًا منه إليه، مســـتحييًا منه إذ لم يُوفِّه حقَّهُ. والجاهل يعمل العمل لحظِّه وهواهُ، ناظرًا فيه إلى نفسه، يمُنُّ به على ربِّه، راضيًا بعمله. فهذا لونٌ وذاك لونٌ آخرُ.)

وقال -رحمه الله- في زاد المعاد: (ثم ذكر حكمة أخرى: وهو تمحيص ما في قلوب المؤمنين وهو تخليصـــه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع، وميل النفوس، وحكم العادة، وتزيين الشـيطان، واسـتيلاء الغفلة ما يضـاد ما أودع فيها من الإيمان والإســـلام والبر والتقوى، فلو تركت في عافية دائمة مســـتمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه..

فاقتضـــت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جســـده، وإلا خيف عليه منه الفســاد والهلاك، فكانت نعمته سـبحانه عليهم بهذه الكسـرة والهزيمة وقتل من قتل منهم تعادل نعمته عليهم بنصـــرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم، فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا.)

فلو لم يكن للمصائب إلا هذه الحكمة والرحمة العظيمة من الله لكانت كافية فكيف والحكم والرحمات منه لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى..

فمن فهم ذلك علم أن البلاء والمصـــائب ما جاءت لتكســـره وإنما جاءت لتهذبه وتنصـــره وتعيده إلى صـــراط ربه العزيز الحميد قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد في هدي خير العباد: (فهو سبحانه إذا أراد أن يُعِزَّ عبدَه ويجبرَه وينصرَه، كسَرَه أولًا، ويكون جَبْرُه له ونصرُه على مِقدار ذُلِّه وانكساره.)

رسالة من نور:
﴿وَمَا أصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾

هذه الآية الكريمة من كتاب الله تبين أن الأصل فيما يصيب العباد من مصائب فإنه بما كسبت أيديهم وأسرفوا على أنفسهم وفرطوا في جنب الله تبارك وتعالى وقد روى الإمام أحمد في مسنده في تفسير هذه الآية حديثا عن أبي سُحَيُلة قال: قال علي: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى، حدثنا بها رسول الله ﷺ: «﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾. وسأفسرها لك يا علي: ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله تعالى أكرم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى أحلم من أن يعود بعد عفوه. حسن إسناده العلامة أحمد شاكر وضعفه غيره».

وروى الحاكم في المستدرك عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رضي الله عنه-، أنه دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، وَقَدِ ابْتُلِيَ فِي جَسَدِهِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ: إِنَّا لَنَبْتَئِسُ لَكَ لِمَا نَزَلَ فِيكَ. قَالَ: فَلَا تَبْتَئِسْ لِمَا تَرَى، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِذَنْبٍ وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ، قَالَ: ثُمَّ تَلَا عِمْرَانُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

وقال الإمام البيهقي في شعب الإيمان: (قال الحليمي -رحمه الله-: قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾، فأخبر أن ما يصيب من زوال نعمة عليهم فإنما سببه حادث وقع منهم، إما ترك الشكر، وإما ارتكاب معصية، وقد يجوز أن يكون هذا الكلام خارجًا على الأغلب والأكثر، فإذا كان هكذا فلا تجزعوا من المصيبة إذا وقعت، فارجعوا باللوم على أنفسكم، أو تحفظوا من الأسباب المؤدية إلى المصائب التي يمكن بحكم العادة أن تدوم كالصحة والثروة والذكر الحسن والعلم والحكمة ونحوها، وقال: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾، فيحتمل -والله أعلم- ما أصاب من مصيبة عامة ولا خاصة إلا وقد كتبها الله في اللوح المحفوظ من قبل أن يوقعها وينزلها، فقد أعلمكم ذلك، وبينه لكم: ﴿**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾، وتعلموا أن العطية كانت مقدرة بالوقت الذي جاورتكم فيه، ومن أعطي شيئًا إلى وقت لم ينبغي له إذا استرجع منه بعد ذلك الوقت أن يحزن ﴿**وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**﴾، أي لا تأشروا وتبطروا به، وتتكبروا على من لم يؤت مثل ما أوتيتم؛ لأنه عارية عندكم، وليست بملك، فإن حقيقة الملك لله عز وجل، وليس للمستعير أن يتمتع بالعارية؛ لأنه لا يأمن في كل لحظة أن يسترجعها منه صاحبها، فيعم الدنيا كلها هكذا.)

ويحسن بنا هنا أن ننقل كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله- في هذا الباب من كتاب الداء والدواء حيث قال: (ومن عقوبات الذنوب أنها تُزيل النعم وتُحِلّ النِّقَم. فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب؛ كما قال

علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: ما نزل بلاءً إلا بذنب، ولا رُفِعَ بلاءً إلا بتوبة وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فأخبر تعالى أنه لا يغيّر نعَمه التي أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغيّر ما بنفسه، فيغيّر طاعةَ الله بمعصيته، وشكرَه بكفره، وأسبابَ رضاه بأسباب سخطه. فإذا غَيَّرَ غُيِّرَ عليه جزاءً وفاقًا، وما ربّك بظلاّم للعبيد. فإنْ غيّر المعصيةَ بالطاعة غيّر الله عليه العقوبةَ بالعافية، والذلَّ بالعز.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وفي بعض الآثار الإلهية عن الربّ تبارك وتعالى أنّه قال: «وعزّتي وجلالي، لا يكون عبد من عَبِيدي على ما أحِبّ، ثم ينتقل عنه إلى ما أكره، إلا انتقلتُ له مما يحبّ إلى ما يكره. ولا يكون عبد من عَبيدي على ما أكره، ثم ينتقل عنه إلى ما أحِبّ، إلا انتقلتُ له مما يكره إلى ما يحبّ».

وقد أحسن القائل:

إذا كنتَ في نعمة فَارْعَها فإنّ المعاصي تُزيل النِّعَمْ
وحُطْها بطاعةِ ربِّ العبادِ فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَمْ
وإيّاك والظلمَ مهما استطعتَ فظلمُ العبادِ شديدُ الوَخَمْ
وسافِرْ بقلبك بينَ الورى لِتُبصِرَ آثارَ من قد ظَلَمْ
فتلك مساكنُهم بعدَهم شهود عليهم ولا تُتَهَمْ
وما كان شيء عليهم أضَرَّ من الظلم، وهو الذي قد قَصَمْ
فكم تركوا مِنْ جِنان ومِنْ قُصور وأخرى عليهم أطَمّ
صلُوا بالجحيم وفات النعيمُ كان الذي نالَهم كالحلُمْ

فالذنوب والمعاصي سَببٌ عظيم للمصائب والبلايا وهل أُخرج سيدنا آدم عليه الصلاة السلام من الجنة إلا بسبب مخالفة أمر الله تبارك وتعالى.. وهل حلَّ بالصحابة الكرام رضوان الله عليهم يوم أحد إلا بسبب مخالفة أمر النبي ﷺ والأمثلة على ذلك في الماضي والحاضر أشهر من أن تذكر ومن جميل الكلام الذي سُطِّرَ في هذا الباب قول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (ولهذا ذكر الله تعالى في غير موضع أنه لابد أن يبتلي الناس، والابتلاء يكون بالسراء والضراء، ولا بد أن يبتلي الإنسان بما يسره وما يسوؤه فهو محتاج إلى أن يكون صابرا شكورا، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾، وقال تعالى:

﴿**فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾، هذا في آل عمران، وقد قال قبل ذلك في البقرة؛ فإن البقرة نزل أكثرها قبل آل عمران: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾.

وذلك أن النفس لا تزكو وتصلح حتى تمحص بالبلاء، كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتتن في كير الامتحان، إذ كانت النفس جاهلة ظالمة وهي منشأ كل شر يحصل للعبد، فلا يحصل له شر إلا منها، قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**أو لما أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾، ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾.

وقد ذكر عقوبات الأمم من آدم إلى آخر وقت. وفي كل ذلك يقول: إنهم ظلموا أنفسهم، فهم الظالمون لا المظلومون. وأول من اعترف بذلك أبواهم: ﴿**قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، وقال لإبليس:

﴿**لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾، وإبليس إنما اتبعه الغواة منهم، كما قال: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾، والغي: اتباع هوى النفس.

وما زال السلف معترفين بذلك، كقول أبي بكر وعمر وابن مسعود: فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله رسوله بريئان منه.

وفي الحديث الإلهي حديث أبي ذر الذي يرويه الرسول عن ربه عز وجل: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وفي الحديث الصحيح حديث سيد الاستغفار أن يقول العبد: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة»..) المستدرك على مجموع الفتاوى.

رسالة من نور:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

إن حسن العبودية لله واللجوء إليه خير ما يهون المصائب والابتلاء وبهما يتسلح العبد لتجاوز مراحل الابتلاء مستعينا بربه تبارك وتعالى..

فانظر وتدبر أيها المبتلى في قول الله تعالى: **﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾** [آل عمران: ٤٣].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في التفسير: (ثم أخبر تعالى عن الملائكة: أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والخضوع والسجود والركوع والدؤوب في العمل لها، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدره وقضاه، مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين، بما أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولدا من غير أب، فقال تعالى: **﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾**.)

فمن أراد الحياة الطيبة في السراء والضراء عليه أن يحقق طاعة الله كما أمره لينجز له ربه ما وعده بقوله: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [النحل: ٩٧].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في التفسـير: (هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صـالحا -وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسـنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله ورسـوله، وإن هذا العمل المأمور به مشـروع من عند الله- بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسـن ما عمله في الدار الآخرة. والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت.)

(فالطاعة حصن الله الأعظم، من دخله كان من الآمنين من عقوبات الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانا، ومن عصـاه انقلبت مآمنه مخاوف، فلا تجد العاصـي إلا وقلبه كأنه بين جناحي طائر، إن حركت الريح الباب قال: جاء الطلب، وإن سمع وقع قدم خاف أن يكون نذيرا بالعطب، يحسب أن كل صيحة عليه، وكل مكروه قاصد إليه، فمن خاف الله آمنه من كل شـيء، ومن لم يخف الله أخافه من كل شـيء.) الداء والدواء (ص: ٧٥).

رسالة من نور:

لا يواجه ولا يدفع البلاء بمثل التوحيد، فالتوحيد مفزع أعدائه وأوليائه

لا بد أن يعلم العبد المؤمن عند نزول البلاء أنه لا يرفع البلاء ويدفعه مثل تحقيق التوحيد والدعاء به فقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

فهؤلاء الصابرون الفائزون ما نالوا هذه الصلوات والرحمة والهداية إلا بتحقيقهم التوحيد قولا وعملا.. فعلموا أنهم عباد لله يجري عليهم من الأقدار ما يبتليهم بها وأنهم إليه راجعون.. فمن حقق التوحيد منهم فآمن به رباً رحيما حكيما ورضي بقدره وسلم أمره إليه نال هذه المنازل الرفيعة

وقال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٥].

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في إغاثة اللهفان: (ولهذا كانت دعوات المكروب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم".

ودعوة ذي النون التي مـا دعـاً بهـا مكروب إلا فرج الله كربـه: "لا إلـه إلا أنـت، سبحانك إني كنت من الظالمين".

وقال ثوبان –رضـــى الله تعالى عنه–: كان رســـول الله –صـــلى الله تعالى عليه وآله وســـلم– إذا راعه أمر قال: «الله ربى لا أشـــرك به شـــيئا»، وفي لفظ قال: «هو الله لا شريك له».

وقالت أسماء بنت عميس –رضـــى الله عنها–: علمني رســـول الله –صـــلى الله تعالى عليه وآله وسلم– كلمات أقولها عند الكرب: «الله، الله ربى، لا أشرك به شيئا».

وفي الترمذي من حديث إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي –صـــلى الله تعالى عليه وآله وســـلم– قال: «دَعْوَةُ يُونُسَ إِذْ نَادَى فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لا إِلهَ إِلا أَنْتَ سُـــبْحَانَكَ إِني كُنْتُ مِنَ الظّالمِينَ، فَإِنّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا مُسْـــلِمٌ فِي شيء إِلا اُسْتُجِيبَ لَهُ».

وفي مســـند الإمام أحمد مرفوعا: دَعوَاتُ المِكْرُوبِ: "اللّهُمَّ رَحْمَتكَ أَرْجُو، فَلا تكلني إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شأْنِي كُلّهُ، لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ".

فالتوحيد ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، وحقيقته إفراد الرب سبحانه بالمحبة والإجلال التعظيم، والذل والخضوع.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في الفوائد: (التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل هذه سنة الله في عباده فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقى في الكرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها وبالله التوفيق.)

وروى الإمام البخاري -رحمه الله- عن أمنا عائشة -رضي الله عنها- أنها كانت تقول: "إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ -يَشُكُّ عُمَرُ- فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ»، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ". فهذا نبي الله محمد ﷺ عندما نزلت سكرات الموت

-وهي أعظم ما ينزل بالعباد- يقول: «لا إله إلا الله» معلما أمته تحقيق التوحيد في شأنهم كله وخاصة في المصائب والكربات والتي أعظمها مصيبة الموت.. فما دفعت ولا رفعت الشدائد بمثل التوحيد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في الفتاوى الكبرى: (وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر، فلهذا قال ذو النون: ﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع كقوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾.)

وإن المتأمل والمتدبر في أوراد الكرب والهم يجد أن مدارها كلها على تحقيق التوحيد والإقرار به صدقا ويقينا والدعاء به والاستغاثة والاستغفار والتوبة واللجوء إلى الله. (فجميع هذه الكلمات الواردة في أحاديث الكرب كلماتُ إيمان وتوحيد وإخلاص لله عز وجل، وبُعد عن الشِّرك كلِّه كبيره وصغيره، وفي هذا أبيَنُ دلالة على أنَّ أعظمَ علاج للكرب هو تجديدُ الإيمان وترديدُ كلمة التوحيد لا إله إلاَّ الله، فإنَّه ما زالَت عن العبد شدَّةٌ، ولا ارتفع عنه هَمٌّ وكَرْبٌ بمثل توحيد الله وإخلاص الدِّين له، وتحقيقِ العبادة التي خُلق العبدُ لأجلها وأُوجِدَ لتحقيقها؛ فإنَّ القلبَ عندما يُعمَرُ بالتوحيد والإخلاص، ويُشغَل بهذا الأمر العظيم الذي هو أعظم الأمور وأجلُّها على الإطلاق، تذهبُ عنه الكُرُبات، وتزولُ عنه الشدائدُ والغمومُ، ويَسعَدُ غايةَ السعادة.) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١٨١).

نسأل الله أن يرزقنا تحقيق التوحيد على الوجه الذي يحبه ويرضاه قولا وعملا ظاهرا وباطنا فلا نجاة ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا لمن حققه قولا عملا صدقا ويقينا.

رسالة من نور:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

إن لله تبارك وتعالى أرسل عبده ورسوله محمداً ﷺ وختم به الرسالات وجعله رحمة للعالمين وأوجب على عباده اتباعه والاقتداء به في السراء والضراء والشدة والرخاء.. فقد كان النبي ﷺ آية من آيات الله في الصبر والثبات وحسن الظن بالله في أزمنة وأحوال الشدة والبلاء بمختلف أنواعها التي مرت به ﷺ.. فيجب على العبد المسلم في أزمنة البلاء أن يقتدي به ويلزم هديه.. فمن وفقه الله لذلك فقد فاز وأفلح فإنه لن يجد هديا أو طريقة خيراً من هديه وطريقته ﷺ يتبعها ويسلكها ليخرج بها سالما غانما راضيا ومرضيا قال الله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** [الأحزاب: ٢١].

وقال الله تعالى: **﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [الأعراف: ١٥٨].

وقال الله تعالى: **﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾** [النور: ٥٤].

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن حفظ الله لها سنة نبيها ﷺ وسيرته ويَسَّرَ لها من العلماء من يشرحها ويبينها للناس على أفضل وجه وأكمله.. فما على العبد إلا أن يسأل أهل العلم ويبحث في أحكام ما ينزل به من نوازل ويواجه من مسائل وحوادث فهذا هو سبيل النجاة والسعادة بتحقيق العبودية لله وحده على طريقة عبده ورسوله محمد ﷺ وفي ذلك كتب شيخ الإسلام -رحمه الله- كلمات من نور في مجموع الفتاوى فقال: (قَاعِدَةٌ نَافِعَةٌ فِي وُجُوبِ الِاعْتِصَامِ بِالرِّسَالَةِ، وَبَيَانِ أَنَّ السَّعَادَةَ وَالْهُدَى فِي مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّ الضَّلَالَ وَالشَّقَاءَ فِي مُخَالَفَتِهِ وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ، إمَّا عَامٌّ وَإِمَّا خَاصٌّ فَمَنْشَؤُهُ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ وَأَنَّ كُلَّ شَرٍّ فِي الْعَالَمِ مُخْتَصٌّ بِالْعَبْدِ فَسَبَبُهُ مُخَالَفَةُ الرَّسُولِ أَوْ الْجَهْلُ بِمَا جَاءَ بِهِ وَأَنَّ سَعَادَةَ الْعِبَادِ فِي مَعَاشِهِمْ وَمُعَادِهِمْ بِاتِّبَاعِ الرِّسَالَةِ. وَالرِّسَالَةُ ضَرُورِيَّةٌ لِلْعِبَادِ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَحَاجَتُهُمْ إلَيْهَا فَوْقَ حَاجَتِهِمْ إلَى كُلِّ شَيْءٍ وَالرِّسَالَةُ رُوحُ الْعَالَمِ وَنُورُهُ وَحَيَاتُهُ فَأَيُّ صَلَاحٍ لِلْعَالَمِ إذَا عَدِمَ الرُّوحَ وَالْحَيَاةَ وَالنُّورَ؟ وَالدُّنْيَا مُظْلِمَةٌ مَلْعُونَةٌ إلَّا مَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ وَكَذَلِكَ الْعَبْدُ مَا لَمْ تُشْرِقْ فِي قَلْبِهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ وَيَنَالُهُ مِنْ حَيَاتِهَا وَرُوحِهَا فَهُوَ فِي ظُلْمَةٍ؛ وَهُوَ مِنْ الْأَمْوَاتِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾، فَهَذَا وَصْفُ الْمُؤْمِنِ كَانَ مَيِّتًا فِي ظُلْمَةِ الْجَهْلِ فَأَحْيَاهُ اللَّهُ بِرُوحِ الرِّسَالَةِ وَنُورِ الْإِيمَانِ وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ فَمَيِّتُ الْقَلْبِ فِي الظُّلُمَاتِ. وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى رِسَالَتَهُ رُوحًا وَالرُّوحُ إذَا عَدِمَ فَقَدْ فُقِدَتْ الْحَيَاةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾.)

ولما كانت هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار وأن المؤمن فيها مبتلى أكثر من غيره فهي له كالسجن وأشد الناس فيها بلاءً الأنبياء فالأمثل فالأمثل وجدنا العلماء وأئمة الإسلام الحديث والتصنيف في هذا الباب على مر العصور فجزاهم الله خير الجزاء.

رسالة من نور:

الصلاة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

الصلاة هي الصلة بين العبد وربه بها يرتقي ويسعد وبها يحدث ربه ويناجيه ففي الصحيح عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿**الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وبها يكون العبد أقرب ما يكون من ربه فيسأله حوائجه ويبث همومه وشكواه إلى مولاه جلَّ في علاه ففي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه، وهو ساجد، فأكثروا الدعاء».

وفي الصحيح قال رسول الله ﷺ: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فقمن أن يستجاب لكم».

من هنا وجدنا حبيننا رســـول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصـــلاة وجعل راحته وطمأنينة قلبه وقرة عينه في الصـــلاة فعن حذيفة -رضـــي الله عنه- قال: كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى، رواه أبو داود وحسنه الألباني.

وقال رســـول الله ﷺ: «يا بلال أقم الصـــلاة أرحنا بها»، رواه أبو دواد وصـــححه الألباني.

وقال رســـول الله ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصـــلاة»، رواه النســـائي وصـــححه الألباني.

وقد أفاد وأجاد الإمام ابن القيم -رحمه الله- في حديثه عن الصـــلاة ومنزلتها بكلام مختصـــر قال فيه: (قال اللهُ تعالى: ﴿**وَاسْـتَعِينُواْ بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلاَةِ، وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّـبْرِ وَالصَّـلاَةِ، إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّـابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّـــلاَةِ وَاصْـــطَبِرْ عَلَيْهَا، لاَ نَسْـــئَلُكَ رِزْقاً، نَّحْنُ نَرْزُقُكَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طه: ١٣٢].

وفي السنن: كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ، فَزِعَ إلى الصَّلاةِ.

وقد تقدَّم ذكر الاستشفاء بالصلاة من عامة الأوجاع قبل استحكامها.

والصلاة مجلبةٌ للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأَدواء، مقوّية للقلب، مبيِّضة للوجه، مُفْرِحةٌ للنفس، مُذهبة للكسل، منشِّطةٌ للجوارح، مِمدَّة للقُوَى، شارِحة للصَّدر، مغذِّية للروح، مُنوِّرة للقلب، حافِظةٌ للنعمة، دافعة للنقمة، جالِبة للبركة، مُبعِدة من الشيطان، مُقرِّبة من الرحمن.

وبالجملة.. فلها تأثير عجيب في حفظ صحة البدن والقلب، وقواهما، ودفع المواد الرديئة عنهما، وما ابتُلي رجلان بعاهةٍ أو داءٍ أو مِحنةٍ أو بَليةٍ إلا كان حظُّ المصَلِّي منهما أقلَّ، وعاقبتُه أسلم.

وللصلاة تأثيرٌ عجيب في دفع شُرور الدنيا، ولا سِيَّما إذا أُعطيت حقها من التكميل ظاهراً وباطناً، فما استُدْفِعَتْ شرورُ الدُّنيا والآخرة، ولا استُجْلِبَت مصالِحُهُمَا بمثل الصلاة، وسِرُّ ذلك أنَّ الصلاة صِلةٌ باللهِ عَزَّ وجَلَّ، وعلى قدر صِلَةِ العبد بربه عَزَّ وجَلَّ تُفتح عليه من الخيرات أبوابَهَا، وتُقطعُ عنه من الشرور أسبابَهَا، وتُفيضُ عليه موادَ التوفيق مِن ربه عَزَّ وجَلَّ، والعافية والصحة، والغنيمة والغِنى، والراحة والنعيم، والأفراح والمسرَّات، كلها محضرةٌ لديه، ومسارِعةٌ إليه.)

رسالة من نور:

«يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»

إن قيام الليل وخاصة الثلث الأخير باب عظيم من أبواب الرحمات والخير والعطاء الرباني يوفق الله إليه السعداء من عباده ليَصبَّ عليهم الخير صبا عظيما ويفتح لهم أبواب الرحمات فتحا عظيما فلا يُحرَم من هذه السنة النبوية العظيمة إلا محروم نسأل الله العافية..

وقد سطر العلامة سيد قطب –رحمه الله– في هذا الباب كلاما جميلا من نور فقال: (﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ**..﴾، إنها دعوة السماء، وصوت الكبير المتعال.. قم.. قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك. قم للجهد والنصب والكد والتعب. قم فقد مضى وقت النوم والراحة..

قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد..

وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ. لتدفع به في الخضم، بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء.

إن الذي يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا. فأما الكبير الذي يحمل هذا العبء الكبير.. فماله والنوم؟ وماله والراحة؟ وماله والفراش الدافئ، والعيش الهادئ؟ والمتاع المريح؟! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر وقدّره.... أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق! ﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**﴾..

إنه الإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة.. قيام الليل. أكثره أكثر من نصف الليل ودون ثلثيه. وأقله ثلث الليل.. قيامه للصلاة وترتيل القرآن. وهو مد الصوت به وتجويده. بلا تغن ولا تطر ولا تخلع في التنغيم....

وكان هذا الإعداد للقول الثقيل الذي سينزله الله عليه..

﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾..

هو هذا القرآن وما وراءه من التكليف.. والقرآن في مبناه ليس ثقيلا فهو ميسر للذكر. ولكنه ثقيل في ميزان الحق، ثقيل في أثره في القلب: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**﴾، فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل يتلقاه..

وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاتصـال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها والاتصال بالله، وتلقي فيضـه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن، وكأنما هو يتنزل من الملأ الأعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود في لحظة الترتيل بلا لفظ بشري ولا عبارة واستقبال إشعاعاته وإيحاءاته وإيقاعاته في الليل الساجي.. إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسـول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.) في ظلال القرآن بتصرف.

وقد ذكر الإمام المنذري في الترغيب بقيام الليل أحاديث صحيحة كثيرة أذكر منها: (عن أبي أمامةَ الباهلي -رضـي الله عنه- عن رسـول الله ﷺ قال: «عليكم بقيام الليل، فإنَّه دأبُ الصـالحين قبلكم، وقُربةٌ إلى ربِّكم، ومَكْفَرَةٌ للسـيئات، ومَنْهاةٌ عن الإثمِ».

وعن جابر –رضي الله عنه– قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ في الليلِ لساعةً لا يوافقها رجلٌ مسلمٌ يسأَلُ اللهَ خيراً من أمرِ الدنيا والآخرةِ؛ إلا أعطاهُ إياه، وذلك كلَّ ليلةٍ».

وعن عَمرو بن عبْسةَ –رضي الله عنه–؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «أقربُ ما يكون الربُّ من العبدِ في جوفِ الليل الآخِرِ، فإنِ استطعتَ أنْ تكونَ ممن يذكرُ اللهَ في تلك الساعة، فَكُنْ».

فيا أيها المبتلى عليك بهذا الباب العظيم من أبواب الخير والفتح الرباني فكم من مبتلى رفع الله عنه بلاءه بركعات ودعوات ودمعات في جوف الليل فهو الوقت الذي قال فيه رَسُول اللهِ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تبارك وتعالى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟».

رسالة من نور:

الدعاء؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

إن الدعاء مفتاح عظيم من مفاتيح الخيرات والبركات وشفاء الأسقام وتفريج الهموم وتنفيس الكروب في الدنيا والآخرة فقد قال الله تعالى: **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** [البقرة: ١٨٦].

وقال الله تعالى: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر: ٦٠].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–، عن النبي ﷺ قال: «من لم يسأل الله غضب الله عليه». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وفي السنن عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه–، عني النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة، قال ربكم: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾**». صححه الألباني.

وقال ابن القيم –رحمه الله– في الداء والدواء: (والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل..

وله مع البلاء ثلاث مقامات:

- أحدها: أن يكون أقوى من البلاء، فيدفعه.
- الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد. ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفًا.
- الثالث: أن يتقاوما، ويمنع كلّ واحد منهما صاحبه.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «لا يغني حَذَر من قَدَر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل. وإن البلاء لينزل، فيلقاه الدعاء، فيعتلجان إلى يوم القيامة».

وفيه أيضًا من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عبادَ الله بالدعاء».

وفيه أيضًا من حديث ثوبان -رضي الله عنه-: لا يردّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيد لعمر إلا البِرّ، وإنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

ومن أنفع الأدوية: الإلحاح في الدعاء وقد روى ابن ماجه في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يسأل اللهَ يغضَبْ عليه».

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد عن قتادة قال: قال مُوَرِّق: ما وجدت للمؤمن مثلًا إلا رجلًا في البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب يا رب، لعل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينجيه.)

وقد بَيّن الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن العبد إذا حقق في الدعاء صـــدق الافتقار إلى الله وحضـــور القلب وشـــروط إجابة الدعاء فإنه لا يرد حيث قال في كتاب الداء والدواء: (فإذا جمع الدعاءُ حضـــورَ القلب وجمعيتَه بكلّيته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وأدبار الصـلوات المكتوبات، وعند صـعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة، وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم؛ وصادف خشـوعًا في القلب، وانكسـارًا بين يدي الربّ، وذلاً له، وتضـرّعًا ورِقّةً؛ واسـتقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى الله تعالى، وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنّى بالصلاة على محمَّد عبده ورسوله ﷺ، ثم قدّم بين يدي حاجته التوبة والاســتغفار، ثم دخل على الله، وألحّ عليه في المســألة، وتملّقه، ودعاه رغبة ورهبة، وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدّم بين يدي دعائه صدقة فإنّ هذا الدعاء لا يكاد يُرَدّ أبدًا، ولا ســيما إن صـــادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم: فمنها ما في السنن وصحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أنّ رســول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: "اللهم إني أسـألك بأنّي أشـهد أنّك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصـمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد". فقال: «لقد سأل الله بالاسم الذي إذا سُئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب».)

وقال شـــيخ الإســـلام ابن تيمية -رحمه- في مجموع الفتاوى: (وإذا توجه إلى الله بصدق الافتقار إليه واستغاث به مخلصا له الدين؛ أجاب دعاءه؛ وأزال ضرره وفتح له أبواب الرحمة.)

رسالة من نور:

استجابة الدعاء

إن مما ينبغي أن يرسخ في قلب العبد رسوخ الجبال أن استجابة الله للدعاء مبناها على حكمته ورحمته فكثير من الدعاء الذي توفرت فيه شروط الاستجابة لا يتحقق مباشرة فلا يظن الظان أن الله لا يريد استجابة الدعاء وتحقيقه.. بل عليه أن يحسن الظن بربه الكريم الرحمن فقد قال: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]، فقد تتأخر الاستجابة وفق حكمة الله ورحمته بعبده فقد يسأل العبد بعض الأمور ويكون فيها مضرته أو أن تحقيقها في هذا الوقت ليس فيها كبير النفع له فيؤخر الله ذلك إلى الوقت الذي يكون تحقيقها فيه النفع العظيم والخير الكبير.. ونضرب لذلك مثالا يقرب المعنى فلو أن طفلا صغيرا ألح على والده السؤال والطلب لشيء فيه ضرره أو أن في تلبيته له في هذا الوقت لن ينفعه وسينشغل به عن أمور مهمات.. فليس من الحكمة هنا تلبية طلب الطفل في هذه الحالة بل يعطيه والده مكان طلبه ما ينفعه ويعينه في هذه المرحلة.. ولله المثل الأعلى فعندما يلح العبد والمبتلى على الله بالدعاء ويرى أن الاستجابة تأخرت فليحسن الظن بالله وليعلم أن في هذا التأخير الخير العظيم والنفع الكبير للعبد.

وهو مع هذا اليقين وحسن الظن بربه يكون قد جمع بين أجور عبادات عظيمة كالدعاء واليقين وحسن الظن بالله والصبر وانتظار الفرج والرضى بقدر الله..

وليستيقن أن الله لن يضيع دعاءه وسيستجيب له وفق رحمته وحكمته فالله ليس غافلا عن دعائه ولكنه لحكمته ورحمته بعبده أخر استجابة دعائه.

وفي تقرير هذا المعنى يقول الإمام ابن الجوزي-رحمه الله- في صيد الخاطر: (رأيت من البلاء أن المؤمن يدعو فلا يجاب، فيكرر الدعاء، وتطول المدة، ولا يرى أثرًا للإجابة، فينبغي له أن يعلم أن هذا من البلاء الذي يحتاج إلى الصبر، وما يعرض للنفس من الوسواس في تأخير الجواب مرض يحتاج إلى طب.

ولقد عرض لي شيء من هذا الجنس؛ فإنه نزلت بي نازلة، فدعوت، وبالغت، والبخل معدوم، فما فائدة تأخير الجواب؟! فقلت له: اخسأ يا لعين! فما أحتاج إلى تقاض، ولا أرضاك وكيلًا.

ثم عدت إلى نفسي فقلت: إياك ومساكنة وسوسته، فإنه لو لم يكن في تأخير الإجابة إلا أن يبلوك المقدر في محاربة العدو، لكفى في الحكمة.

قالت: فسلني عن تأخير الإجابة في مثل هذه النازلة! فقلت: قد ثبت بالبرهان أن الله عز وجل مالك، وللمالك التصرف بالمنع والعطاء، فلا وجه للاعتراض عليه.

<u>والثاني</u>: أنه قد ثبتت حكمته بالأدلة القاطعة، فربما رأيت الشيء مصلحة والحكمة لا تقتضيه، وقد يخفى وجه الحكمة فيما يفعله الطبيب من أشياء تؤذي في الظاهر، يقصد بها المصلحة، فلعل هذا من ذاك.

والثالث: أنه قد يكون التأخير مصلحة، والاستعجال مضرة، وقد قال النبي ﷺ: «لايزال العبد في خير ما لم يستعجل، يقول: دعوت فلم يستجب لي!».

والرابع: أنه قد يكون امتناع الإجابة لآفة فيك، فربما يكون في مأكولك شبهة، أو قلبك وقت الدعاء في غفلة، أو تزاد عقوبتك في منع حاجتك لذنب ما صدقت في التوبة منه، فابحثي عن بعض هذه الأسباب، لعلك تقعي بالمقصود، كما روي عن أبي يزيد -رضي الله عنه-: أنه نزل بعض الأعاجم في داره، فجاء، فرآه، فوقف بباب الدار، وأمر بعض أصحابه، فدخل، فقلع طينًا جديدًا قد طينه، فقام الأعجمي وخرج، فسئل أبو يزيد عن ذلك؟ فقال: هذا الطين من وجه فيه شبهة، فلما زالت الشبهة، زال صاحبها.

وعن إبراهيم الخواص -رحمة الله عليه-: أنه خرج لإنكار منكر، فنبحه كلب له، فمنعه أن يمضي، فعاد، ودخل المسجد، وصلى، ثم خرج، فبصبص الكلب له، فمضى، وأنكر، فزال المنكر، فسئل عن تلك الحال؟ فقال: كان عندي منكر، فمنعني الكلب، فلما عدت، تبت من ذلك، فكان ما رأيتم.

والخامس: أنه ينبغي أن يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب، فربما كان في حصوله زيادة إثم، أو تأخير عن مرتبة خير، فكان المنع أصلح، وقد روي عن بعض السلف: أنه كان يسأل الله الغزو، فهتف به هاتف: إنك إن غزوت، أسرت، وإن أسرت، تنصرت.

والســادس: أنه ربما كان فقد ما فقدته ســببًا للوقوف على الباب واللجأ، وحصــوله ســببًا للاشــتغال عن المســؤول. وهذا الظاهر، بدليل أنه لولا هذه النازلة، ما رأيناك على باب اللجأ، فالحق عز وجل علم من الخلق اشـــتغالهم بالبر عنه، فلذعهم في خلال النعم بعوارض تدفعهم إلى بابه، يســتغيثون به، فهذا من النعم في طَيِّ البلاء، وإنما البلاء المحض ما يشغلك عنه، فأما ما يقيمك بين يديه، ففيه جمالك.

وقد حكي عن يَحْيَى البَكَّاءِ أنه رأى ربه عز وجل في المنام، فقال: يا رب! كم أدعوك ولا تجيبني؟ فقال: يحيى! إني أحب أن أسمع صوتك.

وإذا تدبرت هذه الأشياء، تشاغلت بما هو أنفع لك من حصول ما فاتك، من رفع خلل، أو اعتذار من زلل، أو وقوف على الباب إلى رب الأرباب.)

رسالة من نور:

أحوال استجابة الدعاء

بينت الأحاديث النبوية الواردة في باب استجابة الدعاء الذي توفرت فيه شروط الإجابة أن استجابة الدعاء لها ثلاث حالات..

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدُعَاءٍ إِلَّا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ فِي الدُّنْيَا، وَإِمَّا أَنْ يُدَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يُكَفَّرَ عَنْهُ مِنْ ذُنُوبِهِ بِقَدْرِ مَا دَعَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ أَوْ يَسْتَعْجِلْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْتَعْجِلُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: دَعَوْتُ رَبِّي فَمَا اسْتَجَابَ لِي». رواه الترمذي وصححه الألباني، وقال: صحيح دون قوله: «وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا».

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالَ: إِذًا نُكْثِرُ! قَالَ: «الله أكثر». رواه الإمام البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني.

رسالة من نور:

القرآن وما أدراك ما القرآن

إن الله تبارك وتعالى أنزل كتابه الكريم على رسوله الكريم ﷺ لسعادة البشرية في الدنيا والآخرة وليخرجهم من الظلمات بمختلف أنواعها وأسبابها إلى سعادة ونور الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿**طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى**﴾ [طه: ١ - ٣].

وقال تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [إبراهيم: ١].

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: (قال قتادة: ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى**﴾، لا والله ما جعله شقاءً، ولكن جعله رحمة ونورا، ودليلا إلى الجنة.

﴿**إلا تذكرة لمن يخشى**﴾، إن الله أنزل كتابه، وبعث رسله رحمة، رحم بها العباد، ليتذكر ذاكر، وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله، وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه.)

وقد جعل فيه الشفاء من الأدواء المعنوية والحسية قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في التفسير: (فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة.

فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظ والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها.

وأما الرحمة، فإن ما فيه من الأسباب والوسائل التي يحث عليها، متى فعلها العبد فاز بالرحمة والسعادة الأبدية، والثواب العاجل والآجل.)

وجعل الله في القرآن الكريم انشراح الصدر والشفاء والمخرج من الكروب والهموم فعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ

هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُـــولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»، رواه أحمد وصححه الألباني.

وجعل الله فيه السـكينة والطمأنينة ففي الصـحيح عن البراء، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين، فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسـه ينفر منها، فلما أصـبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن».

فعليك أيها المبتلى بحسـن الصـحبة لكتاب الله تلاوة وتدبرا وسماعا واتباعا.. فهو الهادي إلى كل خير والناهي عن كل شـر، وفيه العصـمة لمن تمسـك به.. وهو المنقذ من كل حيرة وشك وضلال وشبه وشهوة.. وفيه المخرج من كل فتنة وهَم وكرب عن عبد الله بن مسـعود قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبة الله ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضـي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: «بـ ﴿الم﴾ ولكن بالألف واللام والميم»، رواه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني.

وما أروع ما سطره العلامة سيد قطب -رحمه الله- عن نعمة الحياة في ظلال القرآن حيث قال كلمات من نور في مقدمة الظلال: (لقد منّ عليّ بالحياة في ظلال القرآن فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته ما لم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشت أسمع الله سبحانه يتحدث إليّ بهذا القرآن.. أنا العبد القليل الصغير.. أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟

وعشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة.. أنظر إلى تعاجب أهل هذه الجاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال.. كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفال، ومحاولات الأطفال. ولثغة الأطفال.. وأعجب.. ما بال هذا الناس؟! ما بالهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولا يسمعون النداء العلوي الجليل. النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه؟

عشت أتملى في ظلال القرآن ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود.. لغاية الوجود كله، وغاية الوجود الإنساني.. وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية، في شرق وغرب، وفي شمال وجنوب.. وأسأل.. كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء؟

وعشت في ظلال القرآن أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله.. ثم أنظر.. فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تملى عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها. وأقول في نفسي: أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم؟

يا حسرة على العباد!!! وعشت في ظلال القرآن أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود.. أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه.. إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده. وإنه الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها.. والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاول.. والموت ليس نهاية الرحلة وإنما هو مرحلة في الطريق. وما يناله الإنسان من شيء في هذه الأرض ليس نصيبه مقدمة كله. إنما هو قسط من ذلك النصيب. وما يفوته هنا من الجزاء لا يفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع. على أن المرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في كون حي مأنوس، وعالم صديق ودود. كون ذي روح تتلقى وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع: ﴿**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصالِ**﴾.. ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾.. أي راحة، وأي سعة وأي أنس، وأي ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح؟

وعشت في ظلال القرآن أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد.. إنه إنسان بنفخة من روح الله: ﴿**فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ**﴾.. وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض: ﴿**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾.. ومسخر له كل ما في الأرض: «**وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً**».)

رسالة من نور:
﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾

التقوى كما عرفها كثير من العلماء "الالتزام بالواجبات واجتناب المحرمات".. هي خطوة عظيمة في طريق الولاية لله كما قال الله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه..» ، رواه البخاري.

وولاية الله هي حصن الله الأعظم الذي من دخله أصبح من حزب الله وأحبابه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يسيرون بنور الله وحفظه في أقوالهم وأفعالهم كما بينت هذه النصوص السابقة وغيرها.. وهذه المنزلة الرفيعة من العبودية لله ينالها العبد بتحقيق ركنيها الإيمان والتقوى **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾**.

وتقوى الله تكفل الله لأهلها بالمخرج من كل ضيق وكرب وهَمٍ وبلاء قال الله تعالى: **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى**

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢ – ٣].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٤].

وقال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا**﴾ [الطلاق: ٥].

قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: إن أجمع آية في القرآن: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان**﴾ [النحل: ٩٠]، وإن أكثر آية في القرآن فرجا: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا**﴾.)

وإن مجيء هذه الآيات الكريمات بهذا الأسلوب الميسور السهل للجميع دليل على أهمية التقوى في حياة العباد فهي حصن حصين ونور عظيم للعبد في هذه الحياة الدنيا والآخرة يقول سيد قطب –رحمه الله–: (﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾..

مخرجا من الضيق في الدنيا والآخرة، ورزقا من حيث لا يقدر ولا ينتظر. وهو تقرير عام، وحقيقة دائمة.

ولكن إلصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحي بدقة انطباقها وتحققها عند ما يتقي المتقون الله في هذا الشأن بصفة خاصة. وهو الشأن الذي لا ضابط فيه أحس ولا أدق من ضابط الشعور والضمير، فالتلاعب فيه مجاله واسع، لا يقف دونه إلا تقوى الله وحساسية الضمير.

﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ**﴾..

فمجال الكيد في هذه العلاقة واسع، ومسالكه كثيرة، وقد تؤدي محاولة اتقاء الكيد إلى الكيد! فهنا إيحاء بترك هذه المحاولة، والتوكل على الله، وهو كاف لمن يتوكل عليه. فالله بالغ أمره. فما قدر وقع، وما شــاء كان فالتوكل عليه توكل على قدرة القادر، وقوة القاهر. الفعال لما يريد. البالغ ما يشاء.

والنص عام. والمقصود به هو إنشاء التصور الإيماني الصحيح في القلب، بالنسبة لإرادة الله وقدره.. ولكن وروده هنا بمناســبة أحكام الطلاق له إيحاؤه في هذا المجال وأثره.

﴿**قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾..

فكل شــيء مقدر بمقداره، وبزمانه، وبمكانه، وبملابســاته، وبنتائجه وأســبابه. وليس شيء مصادفة، وليس شيء جزافا. في هذا الكون كله، وفي نفس الإنسان وحياته.. وهي حقيقة ضــخمة يقوم عليها جانب كبير من التصــور الإيماني. [وقد فصلنا الحديث عنها عند استعراض قوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَــيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾، في ســورة الفرقان. وعند قوله تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَــيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ**﴾، في ســورة القمر]. ولكن ذكر هذه الحقيقة الكلية هنا يربط بها ما قدره الله عن الطلاق وفترته، والعدة ووقتها، والشهادة وإقامتها. ويطبع هذه الأحكام بطابع السنة الإلهية النافذة، والناموس الكلي العام. ويوقع في الحس أن الأمر جد من جد النظام الكوني المقدر في كل خلق الله.

﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولاتُ الْأَحْمالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً * ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [الطلاق: ٤ – ٥].

وهذا تحديد لمدة العدة لغير ذوات الحيض والحمل. يشمل اللواتي انقطع حيضهن، واللاتي لم يحضن بعد لصغر أو لعلة. ذلك أن المدة التي بينت من قبل في سورة البقرة كانت تنطبق على ذوات الحيض –وهي ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار من الحيضات. حسب الخلاف الفقهي في المسألة– فأما التي انقطع حيضها والتي لم تحض أصلا فكان حكمها موضع لبس: كيف تحسب عدتها؟ فجاءت هذه الآية تبين وتنفي اللبس والشك، وتحدد ثلاثة أشهر لهؤلاء وهؤلاء، لاشتراكهن في عدم الحيض الذي تحسب به عدة أولئك. أما الحوامل فجعل عدتهن هي الوضع. طال الزمن بعد الطلاق أم قصر. ولو كان أربعين ليلة فترة الطهر من النفاس. لأن براءة الرحم بعد الوضع مؤكدة، فلا حاجة إلى الانتظار. والمطلقة تبين من مطلقها بمجرد الوضع، فلا حكمة في انتظارها بعد ذلك، وهي غير قابلة للرجعة إليه إلا بعقد جديد على كل حال. وقد جعل الله لكل شيء قدرا. فليس هناك حكم إلا ووراءه حكمة.

هذا هو الحكم ثم تجيء اللمسات والتعقيبات:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾..

واليسر في الأمر غاية ما يرجوه إنسان. وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبد من عباده. فلا عنت ولا مشقة ولا عسر ولا ضيقة. يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره. وينالها بيسر في حركته وعمله. ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها. ويعيش من هذا في يسر رخي ندي، حتى يلقى الله.. ألا إنه لإغراء باليسر في قضية الطلاق مقابل اليسر في سائر الحياة!

﴿ذلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾..

وهذه لمسة أخرى في جانب آخر. لمسة الجد والانتباه إلى مصدر الأمر.. فقد أنزله الله. أنزله للمؤمنين به، فطاعته تحقيق لمعنى الإيمان، ولحقيقة الصلة بينهم وبين الله.

ثم عودة إلى التقوى التي يدق عليها دقا متواصلا في هذا المجال:

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾..

فالأولى تيسير للأمور. والثانية تكفير للسيئات وإعظام للأجر بعد التكفير.. فهو الفيض المغري والعرض المثير. وهو حكم عام ووعد شامل. ولكنه يخلع على موضوع الطلاق ظلاله، ويغمر القلب بالشعور بالله وفضله العميم. فما له إذن يعسر ويعقد والله يغمره بالتيسير والمغفرة والأجر الكبير؟)

والتقوى طريقك لمعية الله الخاصة في الدنيا والآخرة والعسر واليسر والسراء والضراء قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ومن كان الله معه ما ضره ما فقد ولا يضره كيد أو مكر أحد.. ومن كان الله معه

جعل ســـعادته في قلبه وجمَّلَ حياته بالأنس بربه وخير الصـــحبة له قال العلامة الســـعدي -رحمه الله-: (وأخبر تعالى أنه ﴿مَعَ **الْمُتَّقِينَ**﴾ أي: بالعون، والنصـــر، والتأييد، والتوفيق.

ومن كان الله معه، حصـــل له الســـعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.)

فالعبد المؤمن التقي المتوكل على الله لا يبالي بكيد الكائدين ولا مكر الماكرين ولا بتقلبات السنين فهو يعلم علم اليقين أنه لو مكر به من مكر وحاربه من حارب من الخلق لجعل الله من أمره فرجاً ومخرجاً ومَلأَ قلبه بالســـكينة والطمأنينة والبشـــرى وحسن الأمل.

رسالة من نور:

«عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم»

عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالجهاد في سبيل الله، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم». رواه الإمام أحمد وصححه الألباني.

إن الجهاد في سبيل الله من عظيم نعمة الله على أهل الإسلام جعله الله طريق النصر والتمكين في الدنيا وجعل لأهله في الآخرة أعظم المنازل ففي الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا سعيد من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة». فعجب لها أبو سعيد فقال: أعدها علي يا رسول الله ففعل، ثم قال: «وأخرى يرفع بها العبد مئة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «الجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله».

ومع هذه الثواب العظيم الذي أكرم الله به عباده المجاهدين فقد جعل الجهاد بابا عظيما من أبواب تفريج الهم وزوال الغم وتنفيس الكرب.. فتجد المجاهد في سبيل الله على بصيرة ورشد من أطيب الناس نفسا وأشرحهم صدرا في البأساء والضراء فقد ربّاه الله بالجهاد وهذب نفسه تهذيبا عمليا فقد شاهد من الكرامات والفتوحات الربانية في الجهاد ما جعله لا يتعاظم مصيبة أو بلاء فالأمر كله بيد مالك الأرض

والسماء الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون. فلا يأس ولا قنوط في نفس المجاهد في سبيل الله على بصيرة ورشد بإذن الله وفضله.. اللهم أحينا مجاهدين في سبيلك واختم لنا بخير الشهادة في سبيلك.

رسالة من نور:

﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

إن ذكر الله تبارك الله يورث العبد سعادة القلب وطمأنينته وانشراح الصدر وسعته فلا يضطرب عند ورود المصائب وحلول النوازل اضطرابا يجعله يفقد إيمانه أو يتسخط من قدر الله وقضائه.. فذكر الله على الوجه الصحيح (بتدبر وتفكر وحضور قلب) يورث صاحبه إيمانا وطمأنينة في العسر واليسر والسراء والضراء قال الله تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد: ٢٨].

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: (ثم ذكر تعالى علامة المؤمنين فقال: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾**، أي: يزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، أي: حقيق بها وحريٌّ أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له، يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله، ذكر العبد لربه، من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك.

وقيل: إن المراد بذكر الله كتابه الذي أنزله ذكرى للمؤمنين، فعلى هذا معنى طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل

على الحق المبين المؤيد بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن القلوب إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله، مضـمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما ما ســواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها، بل لا تزال قلقة من تعارض الأدلة وتضاد الأحكام.

﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾، وهذا إنما يعرفه من خبر كتاب الله وتدبره، وتدبر غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فرقا عظيما.)

وذكر الله في هذه الآية ليس مقتصرا على الأوراد والأذكار فقط.. فهو يشمل حسن الصلة بالله وحسن الإنابة إليه والتسليم له وقد بين العلامة سيد قطب –رحمه الله– هذا المعنى بكلمات ساميات من نور فقال في ظلال القرآن: (ثم يرسم صورة شفيفة للقلوب المؤمنة. في جو من الطمأنينة والأنس والبشاشة والسلام:

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ**﴾..

تطمئن بإحساسها بالصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه. تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق. بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير. وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضر ومن كل شر إلا بما يشاء، مع الرضى بالابتلاء والصبر على البلاء. وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة:

﴿**أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾..

ذلك الاطمئنان بذكر الله في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، فاتصلت بالله. يعرفونها، ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها ويندى بها ويستريح إليها ويستشعر الطمأنينة والسلام، ويحس أنه في هذا الوجود ليس مفرداً بلا أنيس. فكل ما حوله صديق، إذ كل ما حوله من صنع الله الذي هو في حماه.

وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله. ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتوت الصلة بما حوله في الكون، لأنه انفصم من العروة الوثقى التي تربطه بما حوله في الله خالق الكون. ليس أشقى ممن يعيش لا يدري لم جاء؟ ولم يذهب؟ ولم يعاني ما يعاني في الحياة؟ ليس أشقى ممن يسير في الأرض يوجس من كل شيء خيفة لأنه لا يستشعر الصلة الخفية بينه وبين كل شيء في هذا الوجود.

ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه فريداً وحيداً شارداً في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر ولا هاد ولا معين.

وإن هناك للحظات في الحياة لا يصمد لها بشر إلا أن يكون مرتكناً إلى الله، مطمئناً إلى حماه، مهما أوتي من القوة والثبات والصلابة والاعتداد.. ففي الحياة لحظات تعصف بهذا كله، فلا يصمد لها إلا المطمئنون بالله:

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾..

هؤلاء المنيبون إلى الله، المطمئنون بذكر الله، يحسن الله مآبهم عنده، كما أحسنوا الإنابة إليه وكما أحسنوا العمل في الحياة:

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ**﴾.. طوبى (على وزن كبرى من طاب يطيب) للتفخيم والتعظيم. وحسن مآب إلى الله الذي أنابوا إليه في الحياة..)

رسالة من نور:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ. قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلاَ تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

إن التوبة لله والاستغفار من الذنوب والتقصير من أوسع أبواب كشف الضر ورفع البلاء كما قررت ذلك نصوص الوحي وكلام العلماء في هذا الباب.. والنصوص والأقوال في ذلك كثيرة نذكر منها:

قال الله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٣]، وفي مسند أحمد عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: أمانان كانا على عهد رسول الله ﷺ، رفع أحدهما، وبقي الآخر، **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾** [الأنفال: ٣٣].

وقال الله تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا *وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾** [نوح: ١٠ - ١٢].

وفي مسند أحمد قال رسول الله ﷺ أنه قال: «العبد آمن من عذاب الله، ما استغفر الله». حديث حسن.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في شفاء العليل: (وأعظم أجزاء هذا الدواء هو التوحيد والاستغفار، قال تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩]، وفي الحديث: قال الشيطان: أهلكتُ بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله، فلما رأيتُ ذلك بثثتُ فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

ولذلك كان الدعاء المفرّج للكرب محض التوحيد، وهو: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات السبع وربُّ الأرض، ربُّ العرش الكريم".

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروبٌ إلا فرّج الله كربَه: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"».

فالتوحيد يُدخِل العبدَ على الله، والاستغفار والتوبة يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه زال عنه همُّه وغمُّه وحزنُه، وإذا انقطع عنه حضرته الهموم والغموم والأحزان، وأتته من كل طريق، ودخلت عليه من كل باب.)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: (وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون:

﴿**لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾، ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع. كقوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾، وقوله: ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾، وقوله: ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾، إلى قوله: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾، وقوله: ﴿**فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ**﴾. وخاتمة المجلس: "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك"، إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له وقد روي أيضا أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين". وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار..)

وقال ابن القيم –رحمه الله– في إغاثة اللهفان: (بُلي العدوّ بالذنب فأصرّ، واحتج وعارَض الأمر، وقَدَح في الحكمة، ولم يسأل الإقالة، ولا ندم على الزّلّة. وبُلي الحبيبُ بالذنب، فاعترف وتاب وندم، وتضرّع واستكان وفزِع إلى مَفْزَع الخليقة، وهو التوحيد والاستغفار، فأُزيل عنه العَيبُ، وغُفر له الذنب، فقُبل منه المتاب، وفُتح له من الرحمة والهداية كلُّ باب. ونحن الأبناء، ومن أشبه أباه فما ظلم، ومَنْ كانت شِيمتُهُ التوبة والاستغفار فقد هُدي لأحسن الشيم.)

فالسعيد من العباد من إذا نزلت به المصائب انشغل بالتوبة والاستغفار من الذنوب التي أورثته هذا البلاء.. ففي ذلك سلامة لدينه بإحسان الظن بربه واتهام نفسه وراحة لباله واشغال لفكره بما ينفعه عند ربه ويعجل له بالفرج ورفع الكرب.

رسالة من نور:

المحافظة على الأوراد اليومية

إن محافظة العبد المؤمن على الأوراد الشرعية في حياته من أسباب سعادته وانشراح صـــدره وطمأنينة قلبه ونجاته وســـلامته من الهموم والبلايا والغموم قال الله تعالى: ﴿**الَّـذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِـذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِـذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال الله تعالى: ﴿**اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّـلَاةَ إِنَّ الصَّـلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْـنَعُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن الحارث الأشـعري -رضـي الله عنه-؛ أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها، ويأمر بني إســـرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطئ بها، قال عيســى: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها، وتأمر بني إســرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم، وإما أن آمرهم، فقال يحيى: أخشــى إن ســبقتني بها أن يخســـف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتلأ، وقعدوا على الشرف، فقال:

إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وآمركم أن تعملوا بهن.

١ - أولاهن: أن تعبدوا الله ولا تشـركوا به شـيئا، وإن مثل من أشـرك بالله كمثل رجل اشـــترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري،

وهذا عملي، فاعمل وأد إلي، فكان يعمل، ويؤدي إلى غير سيده! فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟

٢ – وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا؛ فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

٣ – وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

٤ – وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم.

٥ – وأمركم أن تذكروا الله، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد، لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله».

قال النبي ﷺ: «وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة؛ فإنه من فارق الجماعة قيد شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية، فإنه من جثا جهنم».

فقال رجل: يا رسول الله: وإن صلى وصام؟ فقال: «وإن صلى وصام، فادعوا بدعوى الله التي سماكم المسلمين المؤمنين، عباد الله!». رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

وقد صنف الإمام ابن القيم -رحمه الله- كتابه الوابل الصيب من الكلم الطيب في هذا الباب (المداومة على الذكر والأوراد اليومية) وذكر فيه فوائد كثيرة للذكر نذكر منها مما يعين في موضوع هذا الكتاب: (إن دوامَ ذِكر الرب تبارك وتعالى يُوجِب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده؛ فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [الحشر: ١٩].

وإذا نسي العبدُ نفسه أعرض عن مصالحها، ونَسِيَها، واشتغل عنها؛ فهلكت وفسدت ولابُدّ، كمن له زرعٌ أو بستانٌ أو ماشيةٌ أو غير ذلك مِمّا صلاحُه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه، فأهمله ونسيه، واشتغل عنه بغيره، وضَيَّع مصالحه؛ فإنه يفسد ولابُدّ. هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه؛ فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها، واشتغل عن مصالحها، وعطَّل مراعاتها، وترك القيام عليها بما يصلحها؟! فما شئت من فسادٍ وهلاكٍ وخيبةٍ وحرمان!

وهذا هو الذي صار أمره كله فُرُطًا، فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه، وأحاطت به أسباب القُطوع والخيبة والهلاك.

ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى، واللَّهَجِ به، وأن لا يزال اللسان رطبًا به، وأن يُنزله منزلة حياته التي لا غنى له عنها، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمُه وهلك، وبمنزلة الماء عند شدة العطش، وبمنزلة اللباس في الحر والبرد، وبمنزلة الكِنِّ في شدة الشتاء والسَّموم.

فحقيقٌ بالعبد أن يُنزِل ذكر الله منه بهذه المنزلة، وأعظم؛ فأين هلاك الروح والقلب وفسادها من هلاك البدن وفساده؟!، وهذا هلاكٌ لابُدَّ منه وقد يعقبه صلاح الأبد، وأما هلاك القلب والروح فهلاكٌ لا يُرجَى معه صـــلاح ولا فلاح، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولو لم يكن في فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها لكفى بها.

فمن نســي الله تعالى أنســاه نفســه في الدنيا، ونســيه في العذاب يوم القيامة. قال الله تعـالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَـــةً ضَـــنْكًا وَنَحْشُـــرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَـرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِـيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى**﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦]، أي تُنْسَى في العذاب كما نسيت آياتنا، فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها.

وإعراضُـــه عن ذكره يتناول إعراضَـــه عن الذكر الذي أنزله، وهو كتابه، وهو المراد، ويتناول إعراضَـه عن أن يَذْكُرَ ربه بكتابه، وأسمائه، وصـفاته، وأوامره، وآلائه، ونعمه؛ فإن هذه كلها توابع إعراضـــه عن كتاب ربه تعالى، فإن الذكر في الآية إما مصـــدرٌ مضـافٌ إلى معموله الذي هو المذكور، وإما اسـمٌ مضـافٌ إلى الفاعل، أو مضـافٌ إضـافة الأسماء المحضـة، أي: من أعرض عن كتابي ولم يَتْلُه، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولم يفهمه فإن حياته ومعيشته لا تكون إلا مُضَيَّقةً عليه، مُنكَّدة، مُعذَّبًا فيها.

والضَّــنْكُ: الضـيق والشــدة والبلاء، وَوصْــفُ المعيشــةِ نَفْسِــها بالضـنك مبالغةٌ، وفُسِّــرت هذه المعيشـــة بعذاب البرزخ، والصــحيح: أنها تتناول معيشـــته في الدنيا،

وعذابه في البرزخ؛ فإنه يكون في ضَـــنْكٍ في الحالَيْن، وهو شـــدة وجَهْدٌ وضِـــيق، وفي الآخرة يُنْسَى في العذاب.

وهذا عكسُ أهل السـعادة والفلاح؛ فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، وفي البرزخ، ولهم في الآخرة أفضل الثواب، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل: ٩٧]، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧]، فهذا في البرزخ والآخرة.

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٤١]، وقال تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ [هود: ٣]، فهذا في الدنيا، ثم قال: ﴿**وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ**﴾ [هود: ٣].

وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠].

فهذه أربعة مواضـع ذكر الله تعالى فيها أنه يَجْزِي المحسـن بإحسـانه جزائين: جزاءً في الدنيا، وجزاءً في الآخرة. فالإحســـانُ له جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ، والإســـاءة لها جزاءٌ مُعَجَّلٌ ولابُدّ.

ولو لم يكن إلا ما يُجَازى به المحْسِـنُ: من انشـراح صـدره، وانفسـاح قلبه، وسـروره، ولذته بمعاملة ربه عز وجل، وطاعته، وذكره، ونعيم روحه بمحبته وذكره، وفرحه بربه سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه.

وما يُجَازى به المسيء: مِنْ ضيق الصدر، وقسوة القلب، وتَشَتُّتِه، وظُلْمَتِه، وحزازاته، وغمه، وهمه، وحزنه، وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حِسٍّ وحياة يرتابُ فيه، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوباتٌ عاجلة، ونارٌ دنيوية، وجهنَّمُ حاضرةٌ.

والإقبالُ على الله تعالى، والإنابة إليه، والرضـــى به وعنه، وامتلاء القلب من محبته، واللَّهج بذكره، والفرح والسـرور بمعرفته ثوابٌ عاجل، وجَنَّةٌ حاضـرة، وعَيْشٌ لا نسـبة لعيش الملوك إليه ألبتة.

وسمعت شـيخ الإسـلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: "إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة".

وقال لي مرة: "ما يصنع أعدائي بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

وكان يقول في محبسـه بالقلعة: "لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شــكر هذه النعمة"، أو قال: "ما جزيتهم على ما تســبَّبوا لي فيه من الخير"، ونحو هذا.

وكان يقول في ســجوده وهو محبوس: "اللهم أعنِّي على ذكرك وشــكرك وحســن عبادتك"، ما شاء الله.

وقال لي مرة: "المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه".

ولما أُدخِل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد: ١٣].

وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحِها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها، والمسابقة إليها.

وكان بعض العارفين يقول: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

وقال آخر: "مساكينُ أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها!" قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: "محبةُ الله تعالى ومعرفته وذِكره"، أو نحو هذا.

وقال آخر: "إنه لتمرُّ بالقلبِ أوقاتٌ يرقُص فيها طربًا".

وقال آخر: "إنه لتمرُّ بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عَيْشٍ طيِّب".

فمحبةُ الله تعالى، ومعرفته، ودوام ذكره، والسكون إليه، والطمأنينة إليه، وإفراده بالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والمعاملة، بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته هو جَنَّةُ الدنيا، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم، وهو قرة عين المحِبّين، وحياة العارفين.

وإنما تَقَرُّ أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل؛ فمن قَرَّتْ عينه بالله قَرَّتْ له كُلُّ عين، ومن لم تَقَرَّ عينه بالله تقطَّعت نفسه على الدنيا حسرات.

وإنما يصدِّق بهذه الأمور من في قلبه حياة، وأما ميت القلب فيوحِشُك، ثُمَّ فاسْتأنِسْ بغيبته ما أمكنك، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به، فأعطه ظاهرك، وتَرَحَّلْ عنه بقلبك، وفارقه بسرِّك، ولا تشتغل به عما هو أولى بك..

واعلم أن الحسرة كلَّ الحسرة الاشتغالُ بمن لا يُجْدِي عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل، وانقطاعك عنه، وضياع وقتك عليك، وَشَتَاتِ قلبك عليك، وضعف عزيمتك، وتفرُّقِ همِّك.

فإذا بُلِيت بهذا -ولابُدَّ لك منه- فعامِل الله تعالى فيه، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرَّب إلى الله بمرضاته فيه، واجعل اجتماعك به مَتْجَرًا لك، لا تجعله خسارة، وكن معه كرجلٍ سائرٍ في طريقه عَرَضَ له رجلٌ وَقَفَهُ عن سيره، فاجْتَهِدْ أن تأخذه معك وتسير به، فَتَحْمِله ولا يحملك؛ فإن أبى ولم تَلْقَ في سيره مطمعًا، فلا تقف معه،

بل اركب الدَّرْبَ ودَعْهُ ولا تلتفت إليه؛ فإنه قاطعُ طريقٍ، ولو كان من كان، فانْجُ بقلبك، وضِنَّ بيومك وليلتك، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة فَتُؤْخَذ، أو يطلع عليك الفجر وأنت في المنزلة فَيَسِيرَ الرِّفاقُ فتصبح وحدك، وأنَّى لك بِلَحاقهم.)

وذكر من فوائد الذكر والأوراد اليومية: (أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقتها وتشتتها عليه وانفراطها له، والحياة والنعيم في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته.

ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل.

ويفرق أيضاً ما اجتمع على حربه من جند الشيطان، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية، وكلما كان أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقاً به وإرادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة، ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر.

وأما تقريبه البعيد فإنه يقرب إليه الآخرة التي يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر في عينه الدنيا وتعظم

في قلبه الآخرة، ويبعد القريب إليه وهي الدنيا التي هي أدنى إليه من الآخرة، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا، كلما قربت منه هذه مرحلة بعدت منه هذه مرحلة، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر). ويرجع لمزيد بيان كتاب الوابل الصيب.

فهذه الأوراد الشرعية من عظيم –رحمة الله– بعباده الذين يحافظون عليها على الوجه المطلوب بحضور القلب واليقين والتدبر في معانيها وما اشتملت عليه فهي حصن الله الحصين..

فمن حافظ وداوم عليها كان في صحبة الله ومعيته عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم». ومن كان الله معهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكانوا من السابقين والمميزين في الخيرات عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ، يسير في طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان، فقال: «سيروا هذا جمدان سبق المفردون» قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله قال: «الذاكرون الله كثيرا، والذاكرات».

رسالة من نور:

الأوراد والأدعية الشرعية التي تقال عند الكرب والهم والمصائب

إن المداومة على الأوراد والأدعية الشرعية التي تقال عند الكرب خير ما يحافظ عليه العبد في أوقات الشدة والبلاء لما اشتملت عليه من معاني الإقرار بالتوحيد والعبودية والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله وحده في كشف الضر ورفع البلاء.. ولما تبثه في نفس العبد من رضا وحسن ظن بالله وسكينة وطمأنينة وصبر.. فهي دواء وعلاج رباني للهموم والكروب والمصائب لمن قالها مستيقنا بها.

وإليك أخي القارئ الكريم بعض هذه الأوراد والأدعية في هذا الباب من الكتاب والثابت من السنة:

- ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [سورة الفاتحة].

- ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

- ﴿آمَنَ الرَّسُــولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُــلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُــلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِــينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْــرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦].

- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَــبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُــرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

- ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

- ﴿حَسْــبِيَ اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْـهِ تَوَكَّلْـتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَــيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

- ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- ﴿**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧].

- ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [سورة الإخلاص].

- ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [سورة الفلق].

- ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [سورة الناس].

- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله لا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم». متفق عليه.

- عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"؛ فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط، إلا استجاب الله له». رواه الترمذي وصححه الألباني.

- عن أسماء بنت عميس -رضـــي الله عنها- قالت: قال لي رســـول الله ﷺ: «ألا أعلمـك كلمـات تقولينهن عنـد الكرب -أو في كرب-؟ "الله الله ربي، لا أشرك به شيئا"». رواه أبو داود وصححه الألباني.

- عن أنس بن مـالـك -رضـــي الله عنـه- قـال: قـال رســـول الله ﷺ لمعـاذ: «ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك مثل جبل أحد دينا لأداه الله عنك؟ قل يا معاذ: "اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشـاء، وتنزع الملك ممن تشـاء، وتعز من تشـــاء، وتذل من تشـــاء، بيدك الخير إنك على كل شـــيء قدير. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطيهما من تشـــاء، وتمنع منهما من تشـــاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك"». رواه الطبراني وحسنه الألباني.

- وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ، قال: «دعوات المكروب: "اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفســي طرفة عين، وأصـلح لي شـأني كله، لا إله إلا أنت"». رواه ابن حبان وحسنه الألباني.

- عن ابن مسعود -رضي الله عنه-؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: "اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصــيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضــاؤك، أســألك بكل اســم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيـب عنـدك، أن تجعـل القرآن ربيع قلبي، ونور صــــدري، وجلاء حزني، وذهـاب همي"، إلا أذهـب الله عز وجـل همـه، وأبـدلـه مكـان حزنـه فرحـا».

قالوا: يا رسول الله! ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات؟ قال: «أجل! ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن». رواه أحمد وصححه الألباني.

- "اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ".

- "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ". متفق عليه.

- عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث». رواه الترمذي وحسنه الألباني.

- عن أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا"». قَالَتْ فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ. رواه مسلم.

- قَالَ أَبُو التَّيَّاحِ: قُلْتُ: لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ كَبِيرًا، أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ، فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْأَوْدِيَةِ، وَالشِّعَابِ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ، يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ

اللهِ ﷺ، فَهَبَطَ إِلَيْـهِ جِبْرِيـلُ، فَقَـالَ: يَا مُحَمَّـدُ قُـلْ، قَـالَ: «مَـا أَقُولُ؟» قَـالَ: قُلْ: "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ"، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ، وَهَزَمَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. رواه الإمام أحمد وحسنه الألباني.

- وعن عُروة بن عامر -رضـي الله عنه- قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسـولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «أحْسَـنُهَا الفَألُ. وَلَا تَرُدُّ مُسْـلِمًا فإذا رَأى أحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ، فَلْيَقلْ: "اللَّهُمَّ لَا يَأتِي بِالحَسَـناتِ إلاَّ أنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّـيِّئَاتِ إلاَّ أنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ"». رواه أبو داود وصححه الإمام النووي.

اكتفي بذكر هذه المجموعة من الأوراد والأدعية التي تقال عند الهم والكرب والمصائب فليس المقصود هنا الحصر والاستقصاء

رسالة من نور:

«قُلْ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»

إن هذه الكلمة المباركة (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) مما أكرم الله بها عباده وتفضل بها عليهم فأنزلها من كنز تحت العرش ليتقربوا إليه بها ويستعينوا بها على طاعته وقضاء أمورهم.. فقد تضمنت إعلان تمام انقياد العباد واستسلامهم لله في شأنهم كله فلا حول ولا قوة لأحد منهم على القيام بطاعته والبعد عن معصيته ولا جلب خير ولا دفع ضر إلا بالله العزيز الحكيم..

وقد ثبت في فضائل هذه الكلمة المباركة مجموعة من الأحاديث نذكر منها:

عَنْ أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كبَّرنا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا». ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ». أَوْ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله». متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «أَلَا أُعَلِّمُكَ -أَوْ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ- عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ؟ تَقُولُ:

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عز وجل: أَسْلَمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلَمَ». رواه الحاكم وصححه الألباني.

وعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-؛ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟»، قال: وما هو؟ قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله». رواه أحمد وصححه الألباني.

وعن أبي أيوبَ الأنصاري -رضي الله عنه-: "أنَّ رسولَ الله ﷺ ليلةَ أُسرِيَ به مَرَّ على إبراهيم عليه السلام، فقال: مَنْ مَعَكَ يا جبرائيل؟ قال: هذا محمدٌ. فقال له إبراهيمُ عليه السلام: يا محمدُ! مُرْ أمَّتكَ فَليُكْثِرُوا مِن غِراسِ الجنَّة، فإنَّ تُربتَها طيبّةٌ. وأرضَها واسعةٌ. قال: ما غِراسُ الجنَّةِ؟ قال: لا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله". رواه أحمد وصححه الألباني.

ومن جميل رسائل النور التي سطرت في فضائل وأثر هذه الكلمة المباركة (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) في حياة المؤمن وخاصة في تحمل المصاعب والمصائب ما قاله الإمام ابن القيم -رحمه الله- في الوابل الصيب: (الذكر يُعْطِي الذَّاكر قُوَّةً، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لا يُطِيق فِعْلَه بدونه، وقد شاهدتُ من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- في مِشْيته، وكلامه، وإقدامه، وكتابته، أمرًا عجيبًا؛ فكان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جُمعة أو أكثر، وقد شاهد العَسْكرُ من قُوَّتِه في الحرب أمرًا عظيمًا.

وقد علَّم النبي ﷺ ابنته فاطمة وعليًّا -رضـي الله تعالى عنهما- أن يسـبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضـــاجِعَهما ثلاثًا وثلاثين، ويَحْمَدا ثلاثا وثلاثين، ويكبِّرا أربعًا وثلاثين؛ لما سـألَتْهُ الخَادِمَ، وشـكَتْ إليه ما تقاسـيه من الطَّحْنِ والسَّـعْي والخِدْمَةِ، فعلَّمها ذلك، وقال: «إنَّه خَيْرٌ لكما من خادم». فقيل: إنَّ من داوم على ذلك وجد قوةً في بدنه مُغْنِيةً عن خادم.

وسمعت شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- يذكر أثرًا في هذا الباب، وهو: (أنَّ الملائكة لما أُمِروا بِحَمْلِ العرش قالوا: يا ربنا، كيف نحمل عرشـك وعليه عظمتك وجلالك؟ فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، فلما قالوها حملوه، حتى رأيت ابن أبي الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن ســعد، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مَشْيَخَتُنا أنه بلغهم: أنَّ أول ما خلق الله عز وجل -حين كان عرشــه على الماء- حَمَلَةَ العرش قالوا: ربنا لِمَ خلَقْتنَا؟ قال: خلقتكم لحمل عرشـــي. قـالوا: ربَّنـا، وَمَنْ يَقْوَى على حمـلِ عرشِـــكَ وعليه عظَمَتُك وجلالُـك ووَقـارُك؟ قال: لذلك خلقتكم. فأعادوا عليه ذلك مرارًا، فقال لهم: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فحملوه.

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معاناة الأشـــغال الصـــعبة، وَتَحَمُّلِ المشَـــاقِّ، والدخول على الملوك، وَمْن يُخاف، وركوب الأهوال.

ولها أيضًا تأثير عجيب في دفع الفقر، كما روى ابن أبي الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن أسد بن وداعة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قال: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله مائة مرَّة في كل يوم لم يُصِبْه فَقْرٌ أبَدًا».[٩]

وكان حبيب بن مسلمة يستحب إذا لقي عدُوًّا، أو ناهَضَ حصْنًا قَوْلَ: لا حَوْلَ ولا قُوَّة إلَّا بالله. وإنَّهُ نَاهَضَ يومًا حِصْنًا فانهزم الرُّوم، فقالها المسلمون وكبَّروا، فانْصَدَعَ الحِصْن.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد: (وَأَمَّا تَأْثِيرُ "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" فِي دَفْعِ هَذَا الدَّاءِ فَلِمَا فِيهَا مِنْ كَمَالِ التَّفْوِيضِ، وَالتَّبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، إِلَّا بِهِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ، وَعَدَمِ مُنَازَعَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ، وَعُمُومُ ذَلِكَ لِكُلِّ تَحَوُّلٍ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَالسُّفْلِيِّ، وَالْقُوَّةِ عَلَى ذَلِكَ التَّحَوُّلِ، وَأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاللَّهِ، وَحْدَهُ فَلَا يَقُومُ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ شَيْءٌ. وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ إِنَّهُ مَا يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَهَا تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي طَرْدِ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: (وَلْيَكُنْ هَجِيرَاهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاَللَّهِ فَإِنَّهَا بِهَا تُحْمَلُ الْأَثْقَالُ وَتُكَابَدُ الْأَهْوَالُ وَيُنَالُ رَفِيعُ الْأَحْوَالِ.)

[٩]. قلت: والحديث فيه ضعف

رسالة من نور:

سبحان الله وبحمده

إن هذا الذكر المبارك كنز من كنوز الإســلام فإن له أثرا عظيما في حياة العبد المؤمن في الســراء والضــراء والشــدة والرخاء فهو من أحب الكلام والأذكار إلى الله ففي الصحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُــولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ فَقَالَ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

وقد قال الله مخاطبا عبده ورسوله ﷺ في خاتمة سورة الحجر أن يواجه ما يعتريه من ضــيق في طريق دعوته وصــدعه بالحق وقيامه بأمر الله: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِــيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

وروى الإمام البخاري في الأدب المفرد في أثر هذه الكلمة العظيمة (ســبحان الله وبحمده) في حياة الفرد في الســراء والضــراء، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قال النبي ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِــيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَــهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ

كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ». صححه الألباني.

رسالة من نور:

«إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»

روى الإمام الترمذي عَنْ الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ». وقال الإمام الترمذي هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

يحمل هذا الحديث الشريف رسالة من أنوار وبشريات الوحي للمسلمين عامة ولأهل البلاء والمصائب خاصة.. ويبين لهم عظيم منزلة النبي ﷺ عند الله تبارك وتعالى وعظيم منزلة الصلاة والسلام عليه..

فالصلاة والسلام على رسول الله من أعظم أبواب الرحمات وتفريج الهموم وتنفيس الكربات فمن صلى على رسول الله صلاة واحدة صلى ربه تبارك وتعالى عليه عشرا ومن صلى الله عليه أخرجه من الظلمات إلى النور وأسبغ عليه من فضله ورحمته ما لا يخطر على قلبه قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وفي تقرير هذا المعنى يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله- في الوابل الصيب: (الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر.

ومن صلى اللهُ تعالى عليه وملائكتُه فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته إنما هي على الذاكرين له كثيرًا، وهذه الصلاة منه ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأُخْرِجوا من الظلمات إلى النور فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حُرِمُوا من خيره وفضله!، وبالله التوفيق.)

وقد ورد في فضل الصلاة على رسول الله أحاديث كثيرة نذكر بعض ما ثبت منها: عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا». رواه مسلم.

وعن أبي طلحة الأنصاري -رضي الله عنه- قال: أصبح رسولُ الله ﷺ يوماً طيّبَ النَّفسِ، يُرى في وجهه البشرُ. قالوا: يا رسول الله! أصْبحت اليوم طيَّب النفسِ، يُرى في وجهك البِشرُ؟ قال: «أجل، أتاني آتٍ مِنْ ربِّي» فقال: من صلَّى عليك من

أمَّتك صلاةً؛ كتب الله له بها عشر حسناتٍ، ومحا عنه عشر سيِّئات، ورفع له عشر درجاتٍ، وردَّ عليه مثلها. رواه أحمد وحسنه الألباني.

وعَنِ ابْنِ الْحِمْيَرِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِقَبْرِي مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ». رواه البزار وحسنه الألباني.

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». رواه الترمذي وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وقد أفرد الإمام ابن القيم -رحمه الله- موضوع الصلاة على رسول الله بتصنيف مستقل: (جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ).. ذكر فيه عدة مباحث متعلقة بهذا الباب العظيم وذكر ضمن هذه المباحث مبحثا في الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ وذكر فيه أربعين فائدة في ذلك نذكرها هنا باختصار لعظيم فائدتها..

(الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ:

الأولى: امتثالُ أمْر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء وسؤال، وصلاة الله تعالى عليه ثناء وتشريف كما تقدم.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله عَلَى المصَلِّي عليه مرّة.

الخامسة: أنه يُرْفَعُ له عشر درجات.

السادسة: أنه يُكْتَبُ له عشر حسنات.

السابعة: أنه يُمْحَى عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنه يُرْجَى إجابة دعائه إذا قدَّمها أمامه، فهي تصـــاعد الدعاء إلى عند ربِّ العالمين، وكان موقوفًا بين السماء والأرض قبلها.

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له أو أفردها، كما تقدم حديث رُوَيْفِع بذلك.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب، كما تقدم.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمَّه.

الثانية عشـــرة: أنها ســـبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة، وقد تقدم حديث ابن مسعود بذلك.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصَّدقة لذي العُسْرَة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلِّي وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته، ذكره الحافظ أبو موسى في كتابه، وذكر فيه حديثًا.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنَّجاة من أهوال يوم القيامة، ذكره أبو موسى وذكر فيه أيضًا حديثًا.

التاسعة عشرة: أنها سبب لِردِّ النَّبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

العشرون: أنها لسب لتذكر العبد ما نَسِيَه، كما تقدم.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وأن لا يعود حَسْرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر، كما تقدم.

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البُخْل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ.

الرابعة والعشرون: نجاته من الدُّعاء عليه بِرُغْمِ الأنْف إذا تَرَكَها عند ذكره ﷺ.

الخامسة والعشرون: أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة، وتخطئ بتاركها عن طريقها.

السادسة والعشرون: أنها تنجي من نَتَنِ المجلس الذي لا يُذكرُ فيه الله ورسوله، ويُحْمد الله تعالى ويُثْنى عليه فيه، ويُصلَّى على رسوله ﷺ.

السابعة والعشرون: أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله ﷺ.

الثامنة والعشرون: أنها سبب لوفور نور العبد على الصِّراط، وفيه حديث ذكره أبو موسى وغيره.

التاسعة والعشرون: أنه يخرج بها العبد عن الجفاء.

الثلاثون: أنها سبب لإلقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض: لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلابُدَّ أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الحادية والثلاثون: أنها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره، وأسباب مصالحه، لأن المصلي داعٍ ربه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الثانية والثلاثون: أنها سبب لنيل رحمة الله له، لأن الرحمة: إما بمعنى الصلاة كما قاله طائفة، وإما من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلابد للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثالثة والثلاثون: أنها سبب لدوام محبَّته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يَتِمُّ إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب، واستحضارِهِ في قلبه، واستحضارِ محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حُبُّهُ له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه. وإذا أعْرَض عن ذكره وإخْطارِهِ وإِخْطارِ محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه. ولا شيء أَقَرَّ لعين المحِبِّ من رؤية محبوبه، ولا أَقَرَّ لقلبه من ذكره وإخطاره وإخطار محاسنه. إذا قوي هذا في قلبه، جرى لسانه بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك..

السادسة والثلاثون: أنها سبب لِعَرْض اسْم المصلِّي عليه ﷺ وذكره عنده، كما تقدم قوله ﷺ: «إن صلاتكم معروضة علي»..

السابعة والثلاثون: أنها سبب لتثبيت القدم على الصراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرحمن بن سمرة الذي رواه عنه سعيد بن المسيب في رؤيا النبي ﷺ وفيه: «ورأيت رجلًا من أمتي يزحف على الصراط، ويحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته». رواه أبو موسى المديني، وبنى عليه كتابه في الترغيب والترهيب، وقال: "هذا حديث حسن جدًا".

الثامنة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ أداءٌ لأقل القليل من حَقِّه، وشكر له على نعمته التي أنعم الله بها علينا، مع أن الذي يستحقه من ذلك لا يحصى علمًا، ولا قدرة، ولا إرادة، ولكن الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقه.

التاسعة والثلاثون: أنها متضمِّنة لذِكْر الله وشكره، ومعرفة إنعامه على عبيده بإرساله، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله، كما عرفنا ربنا وأسمائه وصفاته، وهدانا إلى طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه، والقدوم عليه، فهي متضَمِّنة لكل الإيمان، بل هي متضمنة للإقرار بوجود الربِّ المدْعو، وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلها، وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان، فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال.

الأربعون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، ودعاءُ العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهمَّاته، وما ينوبه في الليل والنَّهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

الثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذِكْره، ورفعه، ولا ريب أن الله تعالى يحبُّ ذلك، ورسوله يحبه ﷺ، فالمصَلِّي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محابّ الله تعالى ورسوله، وآثر ذلك على طلبه حوائِجَهُ ومحابَّهُ هو، بل كان هذا المطلوب من أحبِّ الأمور إليه وآثرها عنده، فقد آثر ما يحبّه الله ورسوله على ما يحبّه هو، فقد آثر الله ومحابَّه على ما سواه، والجزاء من جنس العمل، فمن آثر الله على غيره آثره الله على غيره، واعْتَبِرْ هذا بما تَجد الناس يعتمدونه عند ملوكهم ورؤسائهم إذا أرادوا التقرب إليهم والمنزلة عندهم،

فإنهم يســـألون المطاع أن ينعم على من يعلمونه أحبَّ رعيته إليه، وكلما ســـألوه أن يزيد في حبائه وإكرامه وتشـــريفه، علت منزلتهم عنده، وازداد قربهم منه، وحظوتهم، لأنهم يعلمون منه إرادة الإنعام والتشـــريف والتكريم لمحبوبه، فأحبُّهم إليه أشـــدُّهم له سؤالًا وَرغبة أن يُتِمَّ عليه إنعامه وإحسانه، هذا أمر مشاهد بالحسِّ، ولا تكون منزلة هؤلاء ومنزلة من يســـأل المطاع حوائجه هو، وهو فارغ من ســـؤاله تشـــريف محبوبه والإنعام عليه واحدةً، فكيف بأعظم مُحَبّ وأجلّه لأكرم محبوب وأحقّه بمحبة ربه له؟ ولو لم يكن من فوائد الصـــلاة عليه ﷺ إلا هذا المطلوب وحده لكفى المؤمن به شَرَفًا.

وههنا نكتة حســـنة لمن عَلَّم أمته دِيْنَه وما جاءهم به، ودعاهم إليه وحضَّـــهم عليه، وصـــبر على ذلك، وهي أن النبي ﷺ له من الأجر الزائد على أجر عمله مثل أجور من اتبعه، فالداعي إلى سنته ودينه، والمعلِّم الخير للأُمَّة إذا قصد توفير هذا الحظ على رسـول الله ﷺ وصرفه إليه، وكان مقصوده بدعاء الخلق إلى الله التقرب إليه بإرشاد عباده، وتوفير أجور المطيعين له على رســـول الله ﷺ مع توفيتهم أجورهم كاملة، كان له من الأجر في دعوته وتعليمه بحســـب هذه النِّيَّة، وذلك فضـــل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.)

رسالة من نور:

وقفة مع الاسترجاع

الاســـترجاع هو قول المبتلى عند المصـــيبة «إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصـيبتي، وأخلف لي خيرا منها» عملاً بوصـية الحبيب ﷺ ففي الصـحيح عن أم سـلمة، أنها قالت: سمعت رسـول الله ﷺ، يقول: «مَا مِنْ مُسْـلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللَّهُمَّ! أَجِرْنِي فِي مُصِـــيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا».

قَـالَـتْ: فَلَمَّا مَـاتَ أَبُو سَـــلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْـــلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَـــلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في عدة الصابرين: (فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسـول والرضـاء عن الله إلى ما آلت وأنالت أمَّ سـلمة نكاحَ أكرم الخلق على الله.

وفي جامع الترمذي، ومســند الإمام أحمد، وصـحيح ابن حبان، عن أبي موســى الأشعري –رضـى اللَّه عنه– قال: قال رسـول اللَّه ﷺ: «إذا مات ولدُ العبد قال اللَّه لملائكته: قبضـــتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضـــتم ثمرة فؤادِه؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واســـترجع. فيقول: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنّة وسموه بيت الحمد».)

وهذا الخير العظيم المترتب على هذه الكلمات المباركات مرده للصبر والرضا بقضاء الله وقدره وتفويض الأمر إليه.. فالعبد يقرُّ ويعترف أنه عبد لله ناصـــيته بيد الله، وماض فيه حكمه، عدل في قضاؤه وأنه يفوض أمره إليه فهو حسبنا ونعم الوكيل.

رسالة من نور:

هل يشرع الاسترجاع بعد المصيبة ولو بعد حين

الأصل في الاسترجاع أن يكون بعد نزول المصيبة وحلولها بالعبد هذا أفضل وقتها فمن فعل ذلك فإنه يكون سلَّمَ واستسلم لقضاء الله وفوض أمره إليه عند الصدمة الأولى للمصيبة فلم يترك لنفسه الاعتراض أو التسخط على قضاء الله..

ولكن لو ذهل الإنسان عن الاسترجاع أو نسيه أو تركه لظرف من ظروف أو تذكره بعد مدة من الزمن فإنه يشرع له الاسترجاع قال الإمام المنبجي -رحمه الله- في كتاب تسلية أهل المصائب: (فصل: في البشارة لمن تذكر المصيبة فاسترجع: ومن أعظم البشارات لمن أصيب بمصيبة، فذكرها بعد مدة طويلة، فجدد لها استرجاعاً وصبراً، ماله عند الله من الأجر كلما ذكرها واسترجع.

قال الإمام أحمد في مسنده: (ثنا يزيد وعباد بن عباد، قالا: حدثنا هشام ابن أبي هشام، ثنا عباد ابن زياد، عن أمه، عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين ابن علي -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ قال: «ما من مسلم ولا مسلمة، يصاب بمصيبة، فيذكرها وإن طال عهدها -قال عباد: قدم عهدها- فيحدث لذلك استرجاعاً، إلا جدد الله له عنه ذلك، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها». ورواه ابن ماجة من حديث: فاطمة بنت الحسين أيضاً ولفظه: إن رسول الله ﷺ

قال: «من أصيب بمصيبة، فذكر مصيبته، فليحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها، كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب». لكن في اسناده مقال..

قال سعيد بن جبير: ما أعطي أحد في المصيبة ما أعطي هذه الأمة –يعني: "إنا لله وإنا إليه راجعون"– ولو أعطي أحد لأعطي نبي الله يعقوب عليه السلام، ألم تسمع إلى قوله في فقد يوسف: ﴿**يا أسفى على يوسف**﴾، أولئك أصحاب هذه الصفة . ﴿**عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾.)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (فدل هذا الحديث الذي رواه الحسين على أن المصيبة إذا ذكرت وإن قدم عهدها فالسنة أن يسترجع فيها، وإذا كانت السنة الاسترجاع عند حدوث العهد بها فمع تقدم العهد أولى وأحرى.) جامع المسائل.

رسالة من نور:
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

اشـــتملت هذه الآية الكريمة على دعاء من أعظم الأدعية وأشملها لكل خير يحتاجه العبد في الدنيا والآخرة كما قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسـيره: (﴿**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**﴾..

فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصـرفت كل شـر.. فإن الحسـنة في الدنيا تشـــمل كل مطلوب دنيوي، من عافية، ودار رحبة، وزوجة حســنة، ورزق واســع، وعلم نافع، وعمل صـــالح، ومركب هنيء، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما اشـــتملت عليه عبارات المفســرين، ولا منافاة بينها، فإنها كلها مندرجة في الحســـنة في الدنيا. وأما الحســـنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات، وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام وترك الشبهات والحرام.)

وقد كان هذا الدعاء العظيم المبارك من أكثر دعاء النبي ﷺ ففي الصـــحيحين عن أنس، قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسـنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

وكان أنس -رضي الله عنه- يدعو بهذا الدعاء لمن سأله الدعاء عن عبد الله الرومي عن أنس بن مالك قال: (قيل له: إن إخوانك أتوك من البصـــرة -وهو يومئذ بالزاوية- لتدعو الله لهم، قال: اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وآتنا في الدنيا حســـنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، فاستزادوه، فقال مثلها، فقال: إن أوتيتم هذا، فقد أوتيتم خير الدنيا والآخرة.) الأدب المفرد.

ولعظيم ما اشـتمل عليه هذا الدعاء من خير الدنيا والآخرة أرشـد النبي ﷺ من نزل به بلاء أن يحافظ على هذا الدعاء ففيه الفرج القريب والخير العظيم ففي الصـــحيح عن أنس قال: أن رســـول الله ﷺ، عاد رجلا من المســـلمين قد خفت فصـــار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة، فعجله لي في الدنيا، فقال رســـول الله ﷺ: «ســبحان الله لا تطيقه -أو لا تســتطيعه- أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار»، قال: فدعا الله له، فشفاه.)

فالســـعيد من العباد من وفقه الله لملازمة هذا الدعاء والإكثار منه في كل الأحوال وخاصة في أوقات البلاء والكرب والهموم والمرض.

رسالة من نور:

«اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ»

إن الهم والحزن من الغايات والأمور المرغوبة لعدو الله إبليس فمتى استطاع أن يوقع المسلم فيها فرح بذلك فإن الهم والحزن يورثان المسلم الشتات والشرود في الذهن والفكر وقد يقع البعض في الجزع والتسخط على قدر الله واليأس والقنوط من رحمة الله فيقع في حبائل الشيطان.. من هنا وجدنا النبي ﷺ يكثر من الاستعاذة بالله من الهم والحزن ففي الحديث الصحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ».

ومن جميل ما كُتب في شرح هذا الدعاء النبوي: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ" ما سطره الإمام ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد في هدي خير العباد: ("أعوذ بك من الهَمِّ والحَزَن"، وهما قرينانِ، وإنَّ المكروه الوارد على القلب ينقسم باعتبار سببه إلى قسمين، فإنَّه إمَّا أن يكون سببه أمرًا ماضيًا فهو يُحدِث الحزنَ، وإمَّا أن يكون توقُّع أمرٍ مستقبلٍ فهو يُورِث الهَمَّ، وكلاهما من العجز، فإنَّ ما مضى لا يُدفَع بالحزن؛ بل بالرِّضا والحمد والصَّبر والإيمان بالقدر، وقولِ العبد: قدَّر الله وما شاء فعل. وما يستقبل لا يُدفَع أيضًا بالهمِّ، بل إمَّا أن يكون له حيلةٌ في دفعه

فلا يَعجِز عنه، وإمَّا أن لا يكون له حيلةٌ في دفعه، فلا يَجزَع منه، ويلبس له لباسَه، ويأخذ له عُدَّتَه، ويتأهَّب له أُهبتَه اللَّائقة به، ويَستجِنُّ بِجُنَّةٍ حَصينةٍ من التَّوحيد والتَّوكُّل، والانطراح بين يدي الربِّ تعالى، والاستسلام له، والرِّضا به ربًّا في كلِّ شيءٍ، ولا يرضى به ربًّا فيما يحبُّ دون ما يكره، فإذا كان هكذا لم يَرضَ به ربًّا على الإطلاق، فلا يرضاه الرَّبُّ له عبدًا على الإطلاق..

فالهمُّ والحزن لا ينفعان العبد البتَّةَ، بل مضرَّتهما أكثر من منفعتهما، فإنَّهما يُضعِفان العزم، ويُوهِنان القلب، ويَحُولان بين العبد وبين الاجتهاد فيما ينفعه، ويقطعان عليه طريقَ السَّير، أو يُنَكِّسانِه إلى وراء، أو يَعُوقانِه ويَقِفَانِه، أو يَحْجُبانِه عن العلم الذي كلَّما رآه شَمَّرَ إليه وجَدَّ في سيرِه، فهما حِمْلٌ ثقيلٌ على ظهر السَّائر، بل إن عاقَه الهمُّ والحزنُ عن شهواته وإراداته الَّتي تضرُّه في معاشه ومعاده انتفع به من هذا الوجه. وهذا من حكمة العزيز الحكيم أن سلَّط هذين الجندين على القلوب المعرِضة عنه، الفارغة من محبَّته وخوفِه ورجائه والإنابةِ إليه والتَّوكُّلِ عليه والأنس به والفرارِ إليه والانقطاع إليه؛ ليردَّها بما يبتليها به من الهموم والغموم والأحزان والآلام القلبيَّة، عن كثيرٍ من معاصيها وشهواتها المرْدِية.

وهذه القلوب في سجنٍ من الجحيم في هذه الدَّار، وإن أُرِيد بها خيرٌ كان حظُّها من سجن الجحيم في معادها، ولا تزال في هذا السِّجن حتَّى تتخلَّص إلى فضاء التَّوحيد، والإقبالِ على الله، والأنسِ به، وجَعْلِ محبَّته في محلِّ دَبيبِ خواطرِ القلب ووساوسه، بحيث يكون ذِكرُه تعالى وحبُّه، وخوفه ورجاؤه، والفرحُ به والابتهاجُ بذكره هو المستولي على القلب، الغالب عليه، الذي متى فقدَه فقَدَ قُوْتَه الذي لا قِوامَ له

إلا به، ولا بقاءَ له بدونه، ولا ســـبيلَ إلى خلاص القلب من هذه الآلام الَّتي هي أعظمُ أمراضـه وأفسـدُها له إلا بذلك، ولا بلاغَ إلا بالله وحده، فإنَّه لا يُوصِـل إليه إلا هو، ولا يأتي بالحسـنات إلا هو، ولا يَصـرِف السـيِّئاتِ إلا هو، ولا يدلُّ عليه إلا هو، وإذا أراد عبدَه لأمرٍ هيَّأه لـه، فمنه الإيجاد، ومنه الإعداد، ومنه الإمداد، وإذا أقامه في مقامٍ، أيَّ مقامٍ كان، فبحمدِه أقامه فيه، وحكمتُه إقامتُه فيه، ولا يليق به غيرُه، ولا يصـــلُح له ســـواه، ولا مانعَ لما أعطى اللَّه، ولا مُعطيَ لما منع، ولم يمنع عبدَه حقًّا هو للعبد فيكون بمنعه ظالمًا؛ بل مَنَعَه ليتوصَّـــل إليه بمَحَابِّه ليُعطِيَه، وليتضــرَّع إليه، ويتذلَّل بين يديه، ويتملَّقه، ويُعطِي فقرَه إليه حقَّه، بحيث يشـــهد في كلِّ ذرَّةٍ من ذرَّاته الباطنة والظَّاهرة فاقةً تامَّةً إليه على تعاقب الأنفاس.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر وإن لم يشـــهده، فلم يمنع عبدَه ما العبد محتاجٌ إليه، بخلًا منه، ولا نقصًـا من خزائنه، ولا اسـتئثارًا عليه بما هو حقٌّ للعبد؛ بل مَنَعَه ليردَّه إليه، وليُعِزَّه بالتَّذلُّل له، وليُغْنِيَه بالافتقار إليه، وليَجْبُرَه بالانكسـار بين يديه، وليُذِيقَه بمرارة المنع حلاوةَ الخضوع له ولذَّةَ الفقر، وليُلْبِسَه خِلعةَ العبوديَّة، ويُوَلِّيَه بعَزْلِه أشرفَ الولايات، وليُشْـــهِدَه حكمتَه في قـدرتـه، ورحمتَه في عزَّته، وبِرَّه ولطفَه في قهره، وأنَّ منْعه عطاءٌ، وعزْله توليةٌ، وعقوبته تأديبٌ، وامتحـانه محبَّةٌ وعطيَّةٌ وتســـليطه أعداءَه عليه سائقٌ يَسُوقه إليه.

وبالجملة فلا يليق بالعبـد غيرُ مـا أُقيم فيـه، وحمـدُه وحكمتُـه أقـامـاه في مقـامـه الذي لا يليق به ســـواه، ولا يَحْسُـــنُ أن يتخطَّاه، والله أعلم حيثُ يجعل مواقعَ عطـائـه وفضـــلـه، و﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْـثُ يَجْعَـلُ رِسَـــالَاتِـهِ**﴾ [الأنعـام: ١٢٤]،

﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فهو سبحانه أعلمُ بمواقع الفضل، ومحالِّ التَّخصيص، ومحالِّ الحرمان، فبحمده وحكمته أعطى، وبحمده وحكمته حَرَمَ، فمن ردَّه المنعُ إلى الافتقار إليه والتَّذلُّل له وتملُّقِه انقلبَ في حقِّه عطاءً، ومن شَغَلَه عطاؤه وقَطَعَه عنه انقلب في حقِّه منعًا، فكلُّ ما شَغلَ العبدَ عن الله فهو مشؤومٌ عليه، وكلُّ ما ردَّه إليه فهو رحمةٌ به.)

فالمؤمن الذي آمن بالله ربا ورضي بقدره وقضائه وعلم أن أمره كله إلى خير وتعرف على الله في الرخاء والشدة فإنه يدخل بذلك في معية الله وصحبته ومن دخل في معية الله وصحبته فما له وللحزن فهو في واد والحزن في واد آخر فلا حزن مع الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، وفي تأصيل هذا المعنى العظيم يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– في طريق الهجرتين: (وقوله –أي شيخ الإسلام –رحمه الله–: (معرفة اللَّه جلا نورُها كلّ ظلمة، وكشف سرورُها كلَّ غمَّة).. كلام في غاية الحسن. فإنَّ من عرف اللَّه أحبَّه ولا بدَّ، ومن أحبَّه انقشعتْ عنه سحائبُ الظلمات، وانكشفتْ عن قلبه الهمومُ والغمومُ والأحزان، وعمر قلبه بالسرور والأفراح، وأقبلت إليه وفودُ التهاني والبشائر من كلِّ جانب، فإنَّه لا حزن مع اللَّه أبدًا.

ولهذا قال تعالى حكايةً عن نبيّه أنَّه قال لصـــاحبه: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]. فدلَّ على أنَّه لا حزنَ مع اللَّه، وأنَّ من كان اللَّه معه فما له وللحزن؟ وإنَّما الحزن كلّ الحزن لمن فاته اللَّه، فمن حصـــل اللَّهُ له، فعلى أيّ شـــيءٍ يحزَن؟ ومن فاته اللَّه، فبأيّ شـــيءٍ يفرح؟ قال تعالى: ﴿**قُلْ بِفَضْـــلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**﴾ [يونس: ٥٨].

فالفرحُ بفضـــله وبرحمته تبعٌ للفرح به ســبحانه، فالمؤمن يفرح بربّه أعظمَ من فرح كلّ أحد بما يفرح به، من حبيب أو جاه أو مال أو نعمة.)

رسالة من نور:

الرقية والتحصينات والتعويذات الشرعية

إن باب الرقية والتحصينات والتعويذات الشرعية باب عظيم في كشف ودفع الضر بمشيئة الله وقدرته.. وهو باب يغفل عنه كثير من المسلمين فلا يرقون أنفسهم وأهليهم الرقية الشرعية لرفع ودفع ما ينزل بهم من داء أو بلاء فقد عقد ابن القيم -رحمه الله- فصلاً في زاد المعاد في هديه ﷺ في العلاج العام لكل شكوى بالرقية الإلهية فقال -رحمه الله-: (فصل: في هديه ﷺ في العلاج العامِّ لكلِّ شكوى بالرُّقية الإلهيَّة:

روى أبو داود في سننه من حديث أبي الدَّرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم شيئًا فليقل: ربُّنا اللهُ الذي في السَّماء. تقدَّس اسمُك، أمرُك في السَّماء والأرض، كما رَحْمتُك في السَّماء، فاجعل رحمتَك في الأرض، واغفر لنا حُوبنا وخطايانا. أنت ربُّ الطَّيِّبين، أنزِلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع. فيبرأ بإذن اللَّه».

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد، أنَّ جبريل أتى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا محمَّد اشتكيتَ؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم». فقال جبريل: باسم الله أرقيك، من كلِّ داءٍ يؤذيك، ومن كلِّ نفسٍ وعينِ حاسدٍ. اللّهُ يشفيك، باسم الله أرقيك.

فإن قيل: فما تقولون في الحديث الذي رواه أبو داود: "لا رقية إلا في عينٍ أو حُمَةٍ". والحُمَة: ذوات السُّموم كلُّها.

فالجواب: أنَّه ﷺ لم يرد به نفي جواز الرُّقية في غيرها، بل المراد به: لا رقية أولى وأنفع منها في العين والحُمَة. ويدلُّ عليه سياق الحديث، فإنَّ سهل بن حُنَيفٍ قال له لما أصابته العين: أوَفي الرُّقى خيرٌ؟ فقال: «لا رقية إلا في نفسٍ أو حُمَةٍ». ويدلُّ عليه سائر أحاديث الرُّقى العامَّة والخاصَّة. وقد روى أبو داود من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عينٍ أو حُمَةٍ أو دمٍ يرقأ».

وفي صحيح مسلم، عنه أيضًا: رخَّص رسول الله ﷺ في الرُّقية من العين والحُمَة والنَّملة.)

وعقد فصلا في كتاب الوابل الصيب في الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما فقال -رحمه الله-: (الذكر الذي يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما:

في صحيح البخاري، عن عبد الله بن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين -رضي الله عنهما- ويقول: «إن أباكما كان يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أُعِيذُكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عَيْنٍ لامَّة».

وفي الصحيحين، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، أن رجلًا من أصحاب النبي ﷺ رَقَى لديغًا بفاتحة الكتاب، فجعلِ يَتْفُلُ عليه ويقرأ: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، فكأنما نَشِط من عِقَالٍ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة.. الحديث.

وفي الصحيحين، عن عائشة -رضي الله عنها-، أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسانُ الشيءَ، أو كانت به قُرْحَةٌ، أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا -ووضع

سـفيان بن عيينة إصـبعه بالأرض، ثم رفعها– وقال: «بسـم الله، تربة أرضـنا، بِرِيقَةِ بعضنا، يُشْفَى به سقيمُنا، بإذن ربنا».

وفي الصحيحين، أيضًا عنها –رضي الله عنها–: أن النبي ﷺ كان يُعَوِّذ بعض أهله، يمسح بيده اليمنى ويقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ الناس، أَذْهِبِ الباس، وَاشْـفِ أنت الشـافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شِفاءً لا يغادر سَقَمًا».

وفي صحيح مسلم، عن عثمان بن أبي العاص –رضي الله عنه–: أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُه في جسـده منذ أسـلم، فقال النبيُّ ﷺ: «ضـع يدك على الذي تألم من جسـدك، وقل: «بسـم الله –ثلاثًا–»، وقل –سـبع مرات–: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شَرِّ ما أَجِدُ وَأُحاذِر».

وفي السـنن، عن ابن عبـاس –رضـي الله عنهمـا–، عن النبي ﷺ قـال: «من عاد مريضًـا لم يحضر أجله، فقال عنده –سبع مرات–: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك، إلا عافاه الله تعالى».

وفي سـنن أبي داود والنسـائي، عن أبي الدرداء قال: سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «من اشـتكى منكم، أو اشـتكى أخٌ له فليقل: رَبَّنا الله الذي في السـماء، تَقَدَّسَ اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء فاجعل رحمتَك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت رب الطَّيِّبين، أنزل رحمة من رحمتك وشـفاءً من شفائك على هذا الوجع فيبرأ».)

وهنا ينبغي أن ننبه إلى ضرورة حصول اليقين في قلب العبد بتأثير الأوراد والشرعية فكثير من العباد من يستخدم الرقية الشرعية ولا ينتفع بها لعدم اليقين الصحيح بأثرها وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين: (ومن عرف هذا كما ينبغي تبيّن له أسرارُ الرُّقى، وميَّز بين النّافع منها وغيره، ورقى الدّاءَ بما يناسبه من الرُّقى، وتبيَّن له أنّ الرُّقية براقيها وقبول المحلِّ، كما أنّ السَّيف بضاربه مع قبول المحلِّ للقطع. وهذه إشارةٌ مطلعةٌ على ما وراءها لمن دقَّ نظرُه، وحسُنَ تأمُّله. والله أعلم.

وأمّا شهادة التّجارب بذلك فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كلِّ زمانٍ. وقد جرّبتُ أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورًا عجيبةً، ولا سيّما مدّةَ المقام بمكّة أعزَّها الله تعالى. فإنّه كان يعرض لي آلامٌ مزعجةٌ، بحيث تكاد تقطع الحركةَ منّي، وذلك في أثناء الطّواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها محلَّ الألم، فكأنّه حصاةٌ تسقط. جرَّبتُ ذلك مرارًا عديدةً. وكنت آخذ قدحًا من ماء زمزمٍ فأقرأ عليه الفاتحة مرارًا وأشربه، فأجد به من النّفع والقوّة ما لم أعهد مثله في الدَّواء. والأمرُ أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوّة الإيمان وصحّة اليقين. والله المستعان)..

وقال أيضا -رحمه الله- في زاد المعاد: (ومن جرَّب هذه الدَّعوات والعُوَذ عرَف مقدارَ منفعتها وشدَّة الحاجة إليها. وهي تمنع وصول أثر العائن، وتدفعه بعد وصوله، بحسب قوَّة إيمان قائلها، وقوَّةِ نفسه واستعداده، وقوَّةِ توكُّله وثباتِ قلبه؛ فإنَّها سلاحٌ، والسِّلاحُ بضاربه).

وينظر في هذا الباب رســـالتي الرقية الشــرعية الميســرة لعموم المســلمين فهي نافعة بإذن الله.

رسالة من نور:

التعزي بمصيبة موت النبي ﷺ

روى الإمام ابن ماجه عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَابًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، أَوْ كَشَفَ سِتْرًا، فَإِذَا النَّاسُ يُصَلُّونَ وَرَاءَ أَبِي بَكْرٍ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَلَى مَا رَأَى مِنْ حُسْنِ حَالِهِمْ، ورَجَا أَنْ يَخْلُفَهُ اللَّهُ فِيهِمْ بِالَّذِي رَآهُمْ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّمَا أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ، أَوْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنْ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي». صححه الألباني.

إن مصيبة موت النبي ﷺ أعظم المصائب التي نزلت في هذه الإمة المباركة بمجموعها وأفرداها كما دلَّ هذا الحديث الصحيح.. فمن نزلت به مصيبة من المصائب فليخفف شدتها وثقلها بتذكر مصيبته في وفاة النبي ﷺ فإنه بموته قد انقطع الوحي من السماء ففي الحديث الصحيح عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه- بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِعُمَرَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ. فَقَالَتْ: مَا أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا.»

وفي ذلك قال أبو العتاهية -رحمه الله-:

اصـــبر لكل مصـــيبةٍ وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلـد
أو ما ترى أن المصـــائب جمة وترى المنية للعباد بمرصـــد
من لم يصب ممن ترى بمصيبةٍ؟ هذا قبيل لست فيه بأوحد
وإذا أتتك مصيبة تشـجي بها فاذكر مصابك بالنبي محمد

رسالة من نور:

عبادة انتظار الفرج

إن من العبادات التي يكرم بها الله عباده الصالحين في زمن الابتلاء عبادة انتظار الفرج من الله روى في ذلك الإمام الترمذي، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ انْتِظَارُ الفَرَجِ». ضعفه الألباني ولكن معناه صحيح.

فالعبد المؤمن يعلم أن للبلاء وقتا يزول به وتنفرج به الهموم كما قال الله تعالى: ﴿**سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ وكما أخبر المصطفى ﷺ: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا». رواه أحمد وصححه الألباني.

فالمؤمن في زمن البلاء والمصائب يتعبد الله بانتظار رحمته وروح الفرج منه، ويحتسب ذلك عند الله ويرى ذلك من أفضل القربات في زمن البلاء ويحسن الظن بالله وفي ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في التفسير: (والصَّبْرُ مع انْتِظارِ الفَرَجِ يُعْتبَرُ من أعظم العبادات؛ لأنَّك إذا كنت تَنْتَظِرُ الفرج فأنت تَنْتَظِرُ الفرج من الله عز وجل، وهذه عبادة، وقد قال النَّبِي عليه الصلاة والسلام: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ»؛ فكلما اكْتَرَبَتِ الأمورُ فإن الفرج أَقْرَبُ إليك، ﴿**وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في مدارج السالكين: (الصَّبْرُ فِي الْبَلَاءِ، بِمُلَاحَظَةِ حُسْنِ الْجَزَاءِ، وَانْتِظَارِ رُوحِ الْفَرَجِ. وَتَهْوِينِ الْبَلِيَّةِ بِعَدِّ أَيَادِي الْمِنَنِ. وَبِذِكْرِ سَوَالِفِ النِّعَمِ.

هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ تَبْعَثُ الْمُتَلَبِّسَ بِهَا عَلَى الصَّبْرِ فِي الْبَلَاءِ.

إِحْدَاهَا: مُلَاحَظَةُ حُسْنِ الْجَزَاءِ.

وَعَلَى حَسَبِ مُلَاحَظَتِهِ وَالْوُثُوقِ بِهِ وَمُطَالَعَتِهِ يُخَفَّفُ حِمْلُ الْبَلَاءِ، لِشُهُودِ الْعِوَضِ، وَهَذَا كَمَا يَخِفُّ عَلَى كُلِّ مُتَحَمِّلٍ مَشَقَّةٌ عَظِيمَةٌ حَمْلُهَا، لِمَا يُلَاحِظُهُ مِنْ لَذَّةِ عَاقِبَتِهَا وَظَفَرِهِ بِهَا. وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَعَطَّلَتْ مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمَا أَقْدَمَ أَحَدٌ عَلَى تَحَمُّلِ مَشَقَّةٍ عَاجِلَةٍ إِلَّا لِثَمَرَةٍ مُؤَجَّلَةٍ، فَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ الْعَاجِلِ. وَإِنَّمَا خَاصَّةُ الْعَقْلِ: تَلَمُّحُ الْعَوَاقِبِ، وَمُطَالَعَةُ الْغَايَاتِ.

وَأَجْمَعَ عُقَلَاءُ كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى أَنَّ النَّعِيمَ لَا يُدْرَكُ بِالنَّعِيمِ. وَأَنَّ مَنْ رَافَقَ الرَّاحَةَ فَارَقَ الرَّاحَةَ. وَحَصَلَ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَقْتَ الرَّاحَةِ فِي دَارِ الرَّاحَةِ، فَإِنَّ قَدْرَ التَّعَبِ تَكُونُ الرَّاحَةُ.

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ   وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرِيمِ الْكَرَائِمُ
وَيَكْبُرُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغِيرُهَا   وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وَالْقَصْدُ: أَنَّ مُلَاحَظَةَ حُسْنِ الْعَاقِبَةِ تُعِينُ عَلَى الصَّبْرِ فِيمَا تَتَحَمَّلُهُ بِاخْتِيَارِكَ وَغَيْرِ اخْتِيَارِكَ.

وَالثَّانِي: انْتِظَارُ رُوحِ الْفَرَجِ.

يَعْنِي رَاحَتَهُ وَنَسِيمَهُ وَلَذَّتَهُ. فَإِنَّ انْتِظَارَهُ وَمُطَالَعَتَهُ وَتَرَقُّبَهُ يُخَفِّفُ حَمْلَ الْمَشَقَّةِ. وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ قُوَّةِ الرَّجَاءِ. أَوِ الْقَطْعِ بِالْفَرَجِ. فَإِنَّهُ يَجِدُ فِي حَشْوِ الْبَلَاءِ مِنْ رُوحِ الْفَرَجِ وَنَسِيمِهِ وَرَاحَتِهِ: مَا هُوَ مِنْ خَفِيِّ الْأَلْطَافِ، وَمَا هُوَ فَرَجٌ مُعَجَّلٌ. وَبِهِ -وَبِغَيْرِهِ- يُفْهَمُ مَعْنَى اسْمِهِ اللَّطِيفِ.

وَالثَّالِثُ: تَهْوِينُ الْبَلِيَّةِ بِأَمْرَيْنِ.

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَعُدَّ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَيَادِيهِ عِنْدَهُ. فَإِذَا عَجَزَ عَنْ عَدِّهَا، وَأَيِسَ مِنْ حَصْرِهَا، هَانَ عَلَيْهِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَرَآهُ -بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَيَادِي اللَّهِ وَنِعَمِهِ- كَقَطْرَةٍ مِنْ بَحْرٍ.

الثَّانِي: تَذَكُّرُ سَوَالِفِ النِّعَمِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِ. فَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَاضِي. وَتِعْدَادُ أَيَادِي الْمِنَنِ: يَتَعَلَّقُ بِالْمُسْتَقْبَلِ. وَأَحَدُهُمَا فِي الدُّنْيَا. وَالثَّانِي يَوْمَ الْجَزَاءِ....)

رسالة من نور:

«وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا»

روى الإمام الترمذي في سننه، عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ، قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاَءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلاَ تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لاَ يَرْحَمُنَا». هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

فمن نزلت به مصيبة أو بلية في دنياه فليحمد الله أنها لم تكن في دينه فكل المصائب تهون أمام المصيبة في الدين فقد كان نبي الله ﷺ يكثر من دعاء الله: «وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا».. ثم ليحمد الله أنها لم تكن أكبر مما هي عليه وليتصبر وينتظر زوالها كما جاء في وصية الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– لأهل البلاء حيث سطر في صيد الخاطر وصية من نور فقال: (فصل: من نزلت به بلية، فأراد تمحيقها –أي إزالتها–، فليتصورها أكبر مما هي تهن، وليتخايل ثوابها، وليتوهم نزول أعظم منها، ير الربح في الاقتصار عليها.

ولتلمح سرعة زوالها، فإنه لولا كرب الشدة، ما رجيت ساعات الراحة، وليعلم أن مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف، فيتفقد حوائجه في كل لحظة، فيا سرعة انقضاء مقامه! ويا لذة مدائحه وبشره في المحافل، ووصف المضيف بالكرم!

فكذلك "المؤمن في" الشدة، ينبغي أن يراعي الساعات، ويتفقد فيها أحوال النفس، ويتلمح الجوارح، مخافة أن تبدو من اللسان كلمة، أو من القلب تسخط، فكأن قد لاح فجر الأجر، فانجاب ليل البلاء، ومدح الساري بقطع الدجى، فما طلعت شمس الجزاء، إلا وقد وصل إلى منزل السلامة).

وروى الإمام البيهقي في شعب الإيمان عن الشعبي أن شريحا قال: (إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي وأحمده إذ رزقني الصبر عليها وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب وأحمده إذ لم يجعلها في ديني).

رسالة من نور:

الصحبة وما أدراك ما الصحبة

إن الصحبة الصالحة لها أثر عظيم في صلاح العبد وسعادته في الدنيا والآخرة فالعبد يتأثر بصاحبه وأخلاقه كما قال رسول الله ﷺ: «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب.

والصحبة الصالحة لها أثر كبير في تثبيت العبد الحق ومساعدته في زمن الفتن والبلاء كما ذكر لنا ربنا من قصة أصحاب الكهف: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا * هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾ [الكهف: ١٣ - ١٥].

وفي الصحيحين عن أبي موسى -رضي الله عنه-؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة».

وخير الصحبة أن يصاحب العبد ربه تبارك وتعالى خير الصحبة.. بأن يكون له عبدا صادقا صالحا مطيعا محبا له فقد كان من دعاء النبي ﷺ كما روى الإمام مسلم،

عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ: «سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللهِ وَحُسْنِ بَلَائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا بِاللهِ مِنَ النَّارِ».

وصح عنه ﷺ أنه كان يقول في دعاء السفر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ...». الحديث.

فمن أكرمه الله بصحبته فلا يضل ولا يشقى ولا خوف عليه ولا حزن فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه».

وقد قال الله عن حال أعدائه في سورة الأنبياء: ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٣]، وقد سطر الإمام ابن القيم -رحمه الله- كلاما طيبا جميلا من نور حول هذه الآية في روضة المحبين فقال: (وتأمل هذه الباء في قوله: فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، كيف تجدها مبينة لمعنى قوله: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به.. إلى آخره! فإن سمع؛ سمع بالله، وإن أبصر؛ أبصر به، وإن بطش؛ بطش به، وإن مشى؛ مشى به. وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت: ٦٩]،

وقوله: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال: ١٩]، وقوله فيما رواه عنه رسوله: «أنا مع عبدي ما ذكرني، وتحركت بي شفتاه». وهذا ضد قوله: ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ**﴾ [الأنبياء: ٤٣]، فالصحبة التي نفاها هاهنا هي التي أثبتها لأحبابه، وأوليائه وتأمل كيف جعل محبته لعبده متعلقةً بأداء فرائضه! وبالتقرب إليه بالنوافل بعدها لا غير، وفي هذا تعزيةٌ لمدعي محبته بدون ذلك: أنه ليس من أهلها، وإنما معه الأماني الباطلة، والدعاوي الكاذبةُ.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي ﷺ قال: «إذا أحب الله العبد؛ نادى جبريل: إن الله يحب فلانًا فأحبُّوه! فيُحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض».)

ثم يأتي بعد هذه الصحبة صحبة عباد الله الصالحين الذين أمر الله بصحبتهم قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال الله تعالى: ﴿**الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ**﴾ [الزخرف: ٦٧].

وعن أبي هريرة أيضا -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم

شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه»، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-؛ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقي». رواه أبو داود وحسنه الألباني.

ومن أعظم الأحاديث في فضل الصحبة الصالحة ما ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلهِ تبارك وتعالى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا، وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عز وجل، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

والنصوص الواردة في هذا الباب العظيم كثيرة نكتفي بما ذكرنا ونختم هذه الوقفة في أثر الصحبة في زمن البلاء والفتن بقول الإمام ابن القيم عن حالهم مع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله- في الوابل الصيب من الكلم الطيب: (وسمعت شيخ

الإســـلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: (إنّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.)

وقال لي مرة: (ما يصنع أعدائى بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.)

وكان يقول في محبســـه بالقلعة: (لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبًا ما عدل عندي شــكر هذه النعمة)، أو قال: (ما جزيتهم على ما تســبَّبوا لي فيه من الخير)، ونحو هذا.

وكان يقول في ســـجوده وهو محبوس: (اللهم أعنِّي على ذكرك وشـــكرك وحســـن عبادتك). ما شاء الله.

وقال لي مرة: (المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.)

ولما أُدخِل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد: ١٣].

وعَلِمَ اللهُ ما رأيت أحدًا أطيب عيشًـــا منه قط، مع ما كان فيه من ضـــيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضِـــدِّها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًـا، وأشـرحهم صـدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينةً.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوْحِها ونسيمها وطِيبها ما استفرغ قُواهم لطلبها، والمسابقة إليها.)

رسالة من نور:
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

لقد جعل الله تبارك وتعالى التفكر والنظر والتأسي في قصص الصالحين بابا عظيما من أبواب الصبر وانشراح الصدر والثبات وخاصة في أزمنة المصائب والبلاء فمن أراد الله به خيرا وفقه للتأمل في سير وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعباد الله الصالحين فاهتدى بهديهم وصبر كما صبروا وثبت كما ثبتوا وسار على نهجهم في الاعتقاد والقول والعمل في السراء والضراء قال الله تعالى: ﴿**وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [هود: ١٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى في خاتمة سورة يوسف ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [يوسف: ١١١]، وقال الله تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، والآيات في هذا الباب كثيرة..

وقد اتبع النبي ﷺ هذا الهدي الرباني في تربية الصحابة ومن يأتي بعدهم فقد أكثر من ذكر القصص التي فيها الثبات والصبر في زمن الشد والضراء ليبين لهم أن سبيل عباد الله الصالحين على مر العصور دائر بين الشكر والصبر ففي الصحيح عن

خباب بن الأرت قال: شــكونا إلى رســول الله ﷺ، وهو متوســد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصــده ذلك عن دينه، ويمشــط بأمشــاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صــنعاء إلى حضــرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون».

وفي الصحيح عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ســاحر، فلما كبر، قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاما أعلمه السـحر، فبعث إليه غلاما يعلمه، فكان في طريقه، إذا سـلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه، فأعجبه فكان إذا أتى السـاحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى السـاحر ضـربه، فشـكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسـني السـاحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبسـت الناس، فقال: اليوم أعلم آلساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضـى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضـل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك سـتبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسـمع

جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص، وتفعل وتفعل، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمئشار، فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المئشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور، فتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام،

ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهما من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

وكتب السنة مليئة بهذا النوع من القصص النبوي التي تبعث في النفس معاني الصبر والثبات في زمن الشدة والبلاء ليقاس عليها ويعتبر بها قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى: (قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنْ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾، وهو ما ذكره من أحوال الأمم الماضية التي يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الأمم المستقبلة كما قال: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾، فمن كان من أهل الإيمان قيس بهم وعلم أن الله يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء: ﴿**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**﴾، وقد قال: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾، وقال في حق المؤمنين: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**﴾،

وقال: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنْ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقال في قصة أيوب: ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾، ﴿رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، وقال: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ﴾، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾، وقال: ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.)

رسالة من نور:

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

إن قصة نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام من قصص وحالات الابتلاء العظيمة التي ذكرها لنا القرآن الكريم لما فيها من العبرة والعظة وبيان لسبيل النجاة من البلاء قال الله تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٤].

قال العلامة السعدي -رحمه الله- في تفسيره: (واذكر عبدنا ورسولنا ذا النون وهو: يونس، أي: صاحب النون، وهي الحوت، بالذكر الجميل، والثناء الحسن، فإن الله تعالى أرسله إلى قومه، فدعاهم، فلم يؤمنوا فوعدهم بنزول العذاب بأمد سماه لهم.

فجاءهم العذاب ورأوه عيانا، فعجوا إلى الله، وضـجوا وتابوا، فرفع الله عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾، وقال: ﴿**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾، وهذه الأمة العظيمة، الذين آمنوا بدعوة يونس، من أكبر فضائله. ولكنه عليه الصلاة والسلام، ذهب مغاضبا، وأبق عن ربه لذنب من الذنوب، التي لم يذكرها الله لنا في كتابه، ولا حاجة لنا إلى تعيينها لقوله: ﴿**إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ**﴾، ﴿**وَهُوَ مُلِيمٌ**﴾، أي: فاعل ما يلام عليه والظاهر أن عجلته ومغاضبته لقومه وخروجه من بين أظهرهم قبل أن يأمره الله بذلك، ظن أن الله لا يقدر عليه، أي: يضيق عليه في بطن الحوت أو ظن أنه سيفوت الله تعالى، ولا مانع من عروض هذا الظن للكمل من الخلق على وجه لا يستقر، ولا يستمر عليه، فركب في السفينة مع أناس، فاقترعوا، من يلقون منهم في البحر؟ لما خافوا الغرق إن بقوا كلهم، فأصابت القرعة يونس، فالتقمه الحوت، وذهب به إلى ظلمات البحار، فنادى في تلك الظلمات: ﴿**لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، فأقر لله تعالى بكمال الألوهية، ونزهه عن كل نقص، وعيب وآفة، واعترف بظلم نفسه وجنايته.

قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾، ولهذا قال هنا ﴿**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ**﴾، أي الشدة التي وقع فيها.

﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهذا وعد وبشارة لكل مؤمن وقع في شدة وغم أن الله تعالى سينجيه منها ويكشف عنه ويخفف لإيمانه كما فعل بـ "يونس" عليه السلام.)

وقال الإمام ابن كثير -رحمه الله- في التفسير: (﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء، فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الأنبياء، قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا يونس بن أبي إسحاق الهمداني، حدثنا إبراهيم بن محمد ابن سعد، حدثني والدي محمد عن أبيه سعد، -وهو ابن أبي وقاص- قال: مررت بعثمان بن عفان -رضي الله عنه-، في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني ثم لم يردد علي السلام، فأتيت عمر بن الخطاب فقلت: يا أمير المؤمنين، هل حدث في الإسلام شيء؟ مرتين، قال: لا وما ذاك؟ قلت: لا إلا أني مررت بعثمان آنفا في المسجد، فسلمت عليه، فملأ عينيه مني، ثم لم يردد علي السلام. قال: فأرسل عمر إلى عثمان فدعاه، فقال: ما منعك ألا تكون رددت على أخيك السلام؟ قال: ما فعلت. قال سعد: قلت: بلى حتى حلف وحلفت، قال: ثم إن عثمان ذكر فقال: بلى، وأستغفر الله وأتوب إليه، إنك مررت بي آنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرتها قط إلا تغشى بصري وقلبي غشاوة. قال سعد: فأنا أنبئك بها، إن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء أعرابي فشغله، حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته، فلما أشفقت أن يسبقني إلى منزله ضربت بقدمي الأرض، فالتفت إلي رسول الله ﷺ فقال:

«من هذا؟ أبو إسحاق؟» قال: قلت: نعم، يا رسول الله. قال: «فمه؟» قلت: لا والله، إلا إنك ذكرت لنا أول دعوة، ثم جاء هذا الأعرابي فشغلك. قال: «نعم، دعوة ذي النون، إذ هو في بطن الحوت: ﴿**لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾، فإنه لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب له»..)

فالعبد المؤمن إذا لجأ إلى الله بصدق وحقق التوحيد وأناب إلى الله واعترف بظلمه لنفسه وتقصيره في حق ربه ودعا بهذه الكلمات المباركات الطيبات فرج الله عنه وجعل له سبحانه وتعالى من لدنه فرجا ومخرجا كما قال ابن القيم -رحمه الله- في الوابل الصيب من الكلم الطيب: (وهكذا دعاء ذي النون عليه السلام قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته: ﴿**لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾». وفي الترمذي: «دعوة أخي ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿**لَا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ**﴾ فإنه لم يدع بها مسلم قط إلا استجاب له».

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام، ومنه قوله ﷺ في دعاء الكرب: «لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم». ومنه حديث بريدة الأسلمي الذي رواه أهل السنن وابن حبان في صحيحه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو وهو يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس: أنه كان مع النبي ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، ولا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم.

فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى». فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء، أنه يجعل الدعاء مستجاباً.

فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الإجابة وأفضل، فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصاف المسئول مقتضى من الله، فاجتمع المقتضي من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، وكان أبلغ وألطف موقعاً وأتم معرفة وعبودية.

وأنت ترى في المشاهد –ولله المثل الأعلى– أن الرجل إذا توسل إلى ما يريد معروفة بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب لقضاء حاجته.

فإذا قال له: أنت جودك قد سارت به الركبان، وفضلك كالشمس لا تنكر ونحو ذلك، وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغاً لا صبر معه ونحو ذلك، كان أبلغ في قضاء حاجته من أن يقول ابتداء أعطني كذا وكذا.

فإذا عرفت هذا فتأمل قول موسى صلى الله عليه وسلم في دعائه: ﴿**رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير**﴾، وقول ذي النون في دعائه: ﴿**لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين**﴾، وقول أبينا آدم: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين**﴾، وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي، فقال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده وأنه المنفرد بغفران الذنوب، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معاً.

فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.)

رسالة من نور:

عش يوم البلاء كأنه آخر يوم في حياتك «إِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَّاحَ»

إن مما يخفف ويهون على العبد المبتلى ما نزل به من بلاء أن يعيش يومه كأنه آخر يوم في حياته وأنه راحل خلاله إلى الدار الآخرة عملا بوصـــية عبد الله بن عمر -رضـــي الله عنه- فقد روى الإمام البخاري عن مُجَاهِد، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ:(أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَـبِيلٍ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَـيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّـبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».)

فمن جعل هذه الوصـــية المباركة النافعة أمام عينيه هان عليه ما يكون فيه من بلاء وتفرغ لعبادة ربه واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد فانشـغل بطاعة الله عما يكون فيه من بلاء ومصـــائب ومن رســـائل النور في هذا المعنى ما ســـطره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم: (وأما وصـيةُ ابن عمر -رضـي الله عنهما-، فهي مأخوذةٌ مِنْ هذا الحديث الذي رواه، وهي متضـــمنة لنهاية قِصَـــرِ الأمل، وأن الإِنســـان إذا أمسى لم ينتظر الصَّباحَ، وإذا أصبح، لم ينتظر المسـاء، بل يظنُّ أن أجلَهُ يُدركُه قبل ذلك، وبهذا فســـر غيرُ واحدٍ مِنَ العُلماء الزُّهدَ في الدُّنيا، قال المروذي: قلتُ لأبي عبد الله -يعني أحمد- أيُّ شيءٍ الزُّهد في الدُّنيا؟ قال: قِصَرُ الأمل، من إذا أصبحَ،

قال: لا أُمسي، قال: وهكذا قال سفيان. قيل لأبي عبد الله: بأيِّ شيء نستعين على قِصَرِ الأمل؟ قال: ما ندري إنَّما هو توفيق.

قال الحسن: اجتمع ثلاثةٌ من العلماء، فقالوا لأحدهم: ما أَملُكَ؟ قال: ما أتى عليَّ شهرٌ إلَّا ظننتُ أنِّي سأموتُ فيه، قال: فقال صاحباه: إن هذا لأمل، فقالا لأحدهم: فما أَمَلُكَ؟ قال: ما أتت عليَّ جمعة إلَّا ظننتُ أنِّي سأموتُ فيها، قال: فقال صاحباه: إنَّ هذا لأملٌ، فقالا للآخر: فما أملُك: قال: ما أَمَلُ من نفسُه في يد غيره؟

قال داود الطائي: سألتُ عطوان بنَ عمر التميمي، قلتُ: ما قِصَرُ الأمل؟ قال: ما بين تردُّدِ النَّفَسِ، فحدِّث بذلك الفضيل بن عياض، فبكى، وقال: يقول: يتنفس فيخاف أن يموتَ قبل أن ينقطع نفسُه، لقد كان عطوان مِنَ الموت على حذرٍ.

وقال بعضُ السلف: ما نمتُ نومًا قط، فحدثتُ نفسي أنِّي أستيقظ منه.

وكان حبيبٌ أبو محمد يُوصي كُلَّ يومٍ بما يوصي به المحتضِرُ عند موته من تغسيله ونحوه، وكان يبكي كلَّما أصبح أو أمسى، فسُئِلَت امرأته عن بكائه، فقالت: يخاف -والله- إذا أمسى أن لا يُصبح، وإذا أصبح أن لا يُمسي.

وكان محمد بن واسع إذا أراد أن ينام قال لأهله: أستودعكم الله، فلعلَّها أن تكون منيتي التي لا أقوم منها فكان هذا دأبه إذا أراد النوم.

وقال بكر المزني: إن اســتطاع أحدُكم أن لا يبيت إلا وعهدُه عند رأســه مكتوبٌ، فليفعل، فإنَّه لا يدري لعله أن يبيتَ في أهلِ الدُّنيا، ويُصبح في أهلِ الآخرة.

وكان أويسٌ إذا قيل له: كيف الزمانُ عليك؟ قال: كيف الزمانُ على رجل إن أمسى ظنَّ أنه لا يُصبِحُ، وإن أصبح ظنَّ أنه لا يُمسي فيبشر بالجنة أو النار؟

وقال عونُ بنُ عبد الله: ما أنزل الموتَ كُنْهَ منزلته مَنْ عدَّ غدًا من أجله، كم من مســتقبل يومًا لا يســتكمِلُه، وكم من مؤمِّل لغدٍ لا يُدرِكُه، إنكم لو رأيتم الأجلَ ومسيرَه، لأبْغضتُم الأمل وغُرورَه، وكان يقولُ: إن من أنفع أيام المؤمن له في الدُّنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره.

وكانت امرأةٌ متعبدة بمكة إذا أمســت قالت: يا نفسُ، الليلةُ ليلتُك، لا ليلةَ لكِ غيرها، فاجتهدت، فإذا أصــبحت، قالت: يا نفس اليومُ يومك، لا يومَ لك غيره فاجتهدت.

وقال بكرٌ المزنيُّ: إذا أردت أن تنفعَك صــلاتُك فقل: لعلِّي لا أُصــلِّي غيرها، وهذا مأخوذٌ مما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «صلِّ صلاة مودِّع».

وأقام معروفٌ الكرخيُّ الصَّــلاةَ، ثم قال لرجل: تقدَّم فصــلِّ بنا، فقال الرجل: إنِّي إن صليتُ بكم هذه الصلاة، لم أُصلِّ بكم غيرَها، فقال معروف: وأنتَ تحدِّث نفسك أنّك تُصلِّي صلاةً أُخرى؟ نعوذُ بالله من طولِ الأمل، فإنه يمنع خيرَ العمل.

وطرق بعضُــــهم بابَ أخٍ له، فســـأل عنه، فقيل له: ليس هو في البيت، فقال: متى يرجع؟ فقالت له جارية من البيت: من كانت نفسُـــه في يد غيره، من يعلم متى يرجِعُ..

ولأبي العتاهية من جملة أبيات:

وما أدري وإنْ أَمَّلْتُ عُمرًا　　لَعَلِّي حِينَ أُصبحُ لَستُ أُمسِي
ألم تَرَ أن كلَّ صــباحِ يومٍ　　وعُمرُكَ فيه أَقصَـــرُ مِنهُ أَمسِ

وهذا البيت الثاني أخذه مما روي عن أبي الدرداء والحســـن أنهما قالا: ابنَ آدم إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطتَ من بطن أمك، ومما أنشد بعضُ السلف:

إنَّا لـنـفـرحُ بالأيَّامِ نـقـطـعُـهـا　　وكُلُّ يومٍ مضى يُدني من الأجل
فاعمَلْ لِنَفسكَ قبلَ الموتِ مُجتهدًا　　فإنَّما الرِّبْحُ والخُســرانُ في العَمَلِ

رسالة من نور:

«تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»

إن العبد الفطن من يتعرف إلى الله ويكثر من دعائه وطاعته والتقرب إليه في حال الرخاء والعافية فتداركه نعمة ورحمة ربه في حال الشدة والبلاء.. فمن سره أن يستجيب الله له ويرحمه ويلطف به عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء في الرخاء والسراء، روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء». حسنه الألباني.

وروى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنه– أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلامُ، أَوْ يَا غُلَيِّمُ، أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهِنَّ؟» فَقُلْتُ: بَلَى. فَقَالَ: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَرَادُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَادُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا».

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- في الوابل الصيب: (أن العبد إذا تعرَّف إلى الله تعالى، بذكره في الرخاء عَرَفه في الشدّة، وقد جاء أثرٌ معناه: أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى إذا أصابته شدّة، أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة: يا ربّ! صوتٌ معروفٌ من عبدٍ معروفٍ.

والغافل المعرض عن ذكر الله عز وجل إذا دعاه أو سأله قالت الملائكة: يا ربّ! صوتٌ منكرٌ من عبدٍ منكر.)

رسالة من نور:

«أمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ»

إن ســـؤال الله العافية في الدنيا والآخرة من خير الدعاء الذي علمه النبي ﷺ أمته ورغبهم أن لا يمر عليهم صباح ولا مساء إلا وسألوا الله العافية.. فالعبد لا يدري إذا نزل به البلاء ما يكون حاله؟

فملازمة العبد لسؤال الله العافية والمعافاة مما يسهل عليه أمره في السراء وإذا نزلت به الشـــدة والبلاء ســـهل عليه أمره ورزقه الله العافية في ذلك فيكون من أهل العافية السعداء في كل حال.. وقد ثبت عن النبي ذلك مجموعة من الأحاديث نذكر منها: روى الإمـام البزار في مســـنـده عَن أَنس، أَنَّ النَّبِيّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ فَقَـالَ: «أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ».

وروى الإمام الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَارِثِ، عَنْ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المطَّلِبِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَـيْئًا أَسْـأَلُهُ اللَّهَ عز وجل، قَالَ: «سَـلِ اللَّهَ العَافِيَةَ». فَمَكَثْتُ أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُـولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَـيْئًا أَسْـأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وروى الإمام الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّـلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِـيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ».

وروى الإمام مسلم عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وأتاه رجل فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال «قل: اللهم! اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني». -ويجمع أصـــابعه إلا الإبهام- «فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك».

وروى الإمام الترمذي عن معاذ بن رفاعة عن أبيه قال: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّـــدِّيقُ، عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الأَوَّلِ عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللَّهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ».

وروى الإمام ابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُـــولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

ولأهمية هذا الدعاء وعظيم أثره في الدنيا والآخرة ثبت عن النبي ﷺ أنه لم يكن يدع سؤال الله العافية حين يصبح وحين يمسي فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لم يكن النبيُّ ﷺ يَدَعُ هؤلاء الدعوات حين يُمسي وحين يُصبح: «اللَّهُمَّ إني أسألُكَ العافِيَةَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إني أســـألُكَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ في دِيني وَدُنْيايَ وأهْلِي ومَالِي، اللَّهُمَّ اسْـــتُرْ عَوْرَاتِي وآمِنْ رَوْعاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْني مِنْ بَيْن يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِيني، وَعَنْ شِمَــالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وأعُوذُ بِعَظَمَتِــكَ أنْ أُغْتَــالَ مِنْ تَحْتِي». رواه أبو داود.

رسالة من نور:

حافظ على عمل الصالحات
فإنها لا ينقطع أجرها عند البلاء

تقدم الكلام في مواضع سابقة عن أثر المحافظة على الأعمال الصالحة في كشف البلاء عن العباد.. وفي هذه الرسالة أريد أن أذكر قضية هامة في أثر الأعمال الصالحة على العبد في أحواله كلها فمن وفقه الله تبارك وتعالى على المداومة على عمل الصالحات في حال الصحة والعافية والرخاء ثم نزل به من البلاء ما يحول بينه وبين عمل تلك الأعمال الصالحة على الصورة التي كان مداوما عليها.

فإن الله تبارك وتعالى من فضله وكرمه ورحمته يكتب له من الثواب ما كان يعمله في حال الصحة والعافية.. فقد ذكر الإمام المنذري -رحمه الله- في الترغيب والترهيب عددا من الأحاديث الصحيحة في بيان هذا المعنى أذكر منها:

عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر؛ كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». رواه البخاري وأبو داود.

عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «ما من أحد من الناس يصاب ببلاء في جسده؛ إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه؛ قال: اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة ما كان يعمل من خير ما كان في وثاقي». رواه أحمد واللفظ له، والحاكم وقال: "صحيح على شرطهما".

وفي رواية لأحمد: قال رســـول الله ﷺ: «إن العبد إذا كان على طريقة حســـنة من العبادة، ثم مرض، قيل للملك الموكل به: اكتب مثل عمله إذا كان طليقا حتى أطلقه، أو أكفتة إلي». وإسناده حسن.

قوله: "أكفته إلي" بكاف ثم فاء ثم تاء مثناة فوق؛ معناه: أضمه إلي وأقبضه.

رسالة من نور:

النعيم لا يدرك بالنعيم
والراحة لا تدرك بالراحة

إن مما دلت عليه النصـــوص وأجمع عليه الحكماء قديما وحديثا وأثبتته التجارب أن النعيم لا يدرك بالنعيم والراحة لا تدرك بالراحة، ففي الحديث الصحيح عن أنس قال: قال النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات».

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله– في مفتاح دار الســعادة: (إذ المصــالحُ والخيراتُ واللذَّاتُ والكمالاتُ كلُّها لا تُنالُ إلا بحظٍّ من المشقَّة، ولا يُعْبَرُ إليها إلا على جسرٍ من التَّعب.

وقد أجمع عقلاءُ كلِّ أمَّةٍ على أنَّ النَّعيمَ لا يُدْرَكُ بالنَّعيم، وأنَّ من آثَرَ الراحةَ فاتتهُ الراحة، وأنَّ بحســب ركوب الأهوال واحتمال المشــاقِّ تكونُ الفرحةُ والملذَّة؛ فلا فرحة لمن لا همَّ له، ولا لذَّة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبدُ قليلًا اســتراح طويلًا، وإذا تحمَّل مشــقَّة الصَّبر ســاعةً قاده لحياة الأبد، وكلُّ ما فيه أهلُ النَّعيم المقيم فهو ثمرةُ صــبر ســاعة، والله المستعان، ولا قوَّة إلا بالله.

وكلَّما كانت النفوسُ أشـرف، والهمَّةُ أعلى، كان تعبُ البدن أوفر، وحظُّه من الراحة أقلَّ، كما قال المتنبِّي.

وإذا كانت النفوسُ كبارًا   تعبَت في مرادها الأجسامُ

فهذه الابتلاءات والصعوبات التي تصيب العبد المؤمن في هذه الدنيا هي من أسباب سعادته ونجاحه ورفعته علم بذلك أم لم يعلم.. فمنها يستفيد ويتعلم ويزداد من العلم والخبرة والصبر والثبات وكلما ازداد رصيده من هذه الصعوبات ونفعه الله بها ازداد في معرفته وخبرته وعلو منزلته.. فلا يحزن العبد لما يصـــيبه من ذلك وليجعلها محطات تعليم وزيادة في أوجه الخير والصبر ورفع الدرجات في الدنيا والآخرة -بإذن الله- فقد صدق من قال:

لا تَحْسَب المجْد تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ المِجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصّبر

رسالة من نور:

إقبال الناس على الشيء لا يعطيه الأفضلية حتى نرى منزلة هذا الشيء عند الله

إن الميزان عند العبد المؤمن هو الميزان الذي وضعه الله في الشرع الكريم فلا يقيس الأمور بأهواء البشر ورغباتهم فهي غير منضبطة ومبناها الهوى واتباع الشهوات إلا من رحم الله.. فإننا نرى اليوم عناية وإقبال الناس على الأسواق والملاهي والبنوك وغير ذلك أكثر من عنايتهم وإقبالهم على المساجد ومواطن الخير فهذا الاقبال والعناية لا يغير شيئا في قناعة العبد المؤمن ولا يجعل الأسواق والبنوك أفضل من بيوت الله ومواطن الخير فلا يقول ذلك أحد يعرف دين الإسلام..

وكذلك نرى إقبال الناس اليوم على الملاهي والأغاني أكثر من إقبالها على القرآن والمواعظ الدينية فهذا الإقبال لا يغير ولا يؤثر في عقيدة وقناعة العبد المسلم بالقرآن والمواعظ ولا يتحول لسماع المحرمات لإقبال الناس عليها أكثر من الإقبال على سماع القرآن والمواعظ الشرعية..

وكذلك نرى إقبال الناس في زواجهم في البحث عن توفر أسباب الدنيا من مال جمال أو حسب أكثر من إقبالهم وبحثهم عن أصحاب وصاحبات الخلق الدين كما أرشدنا الشرع الكريم..

فهذا الإقبال الشـــديد على ما يخالف الشـــرع لا يجعلنا نغير مواقفنا أو نترك أحكام ربنا وما يحبه الله ويرضاه لنا فإن هذه المغريات والشهوات لا تدوم في الدنيا وسيعقبها الندامة والحسرة في الدنيا والآخرة..

فالسعيد والفطن من قدم أمر الله على كل أمر سـواه وجعل ميزانه الشـرع الكريم ولم يتغير ولم يتأثر ولم يسيء الظن بربه ولم يتبع خطوات الشيطان وأساليب أهل الأهواء لأجل دنيا زائلة فيدخل في الفتن والبلاء فيخسـر في الدنيا والآخرة نسأل الله العافية والسلامة ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [القصص: ٦٠].

رسالة من نور وخاتمة:
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

رأيت أن أختم هذه الرسـائل بهذه الآية العظيمة من كتاب الله مريدا بذلك أن أبين لنفسي وللقراء الكرام أنه لا بد للعبد المؤمن من مجاهدة النفس والأهواء وشياطين الإنس والجن في مراحل هذه الحياة المختلفة في السراء والضراء فلا تحمله نفسه وشياطينه في حالة النعمة والسراء إلى الكبر والعجب والفسوق أو حتى الكفر.. ولا تحمله نفسه وشياطينه في حالة البلاء والضراء على اليأس والقنوط والهم والحزن والعجز والكسل أو الفسق أو الكفر نسأل الله العافية..

فالسعادة والنجاة في هذه الحياة مبناها على دوام المجاهدة الصادقة.. مجاهدة النفس وشياطين الإنس والجن في ذات الله على منهج الله الذي أنزله عبده ورسوله محمد ﷺ وختم بها الرسالات فيلزم العبد حالة العبودية الصادقة لله بمفهومها الشامل والاستعانة والاستغاثة به وحده والمجاهدة السليمة في الأحوال كلها ويتعلم من العلم ما يعينه على ذلك ويصاحب الصالحين الذين يشدون أزره ويقدمون له النصح والتوجيه فإن فعل ذلك فقد سلك سبيل الله (سبيل السعداء) في السراء والضراء.. ومن سلك هذا السبيل فلا ضلال ولا شقاء ولا خوف ولا حزن عليه –نسأل الله أن يجعلنا منهم–..

وفي تقرير هـذا المعنى يقول شـيخ الإسـلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى: (وَإِذَا اجْتَهَدَ وَاسْتَعَانَ بِاَللَّهِ تَعَالَى وَلَازَمَ الِاسْتِغْفَارَ وَالِاجْتِهَادَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ وَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرُهُ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ حَلَاوَةُ الْإِيمَانِ وَنُورُ الْهِدَايَةِ فَلْيُكْثِرْ التَّوْبَةَ وَالِاسْتِغْفَارَ وَلْيُلَازِمْ الِاجْتِهَادَ بِحَسَبِ الْإِمْكَانِ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾، وَعَلَيْهِ بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ وَلُزُومِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ مُسْتَعِينًا بِاَللَّهِ؛ مُتَبَرِّئًا مِنْ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إلَّا بِهِ. فَفِي الْجُمْلَةِ لَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يَيْأَسَ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجُوَ رَحْمَةَ اللَّهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ لَا يَيْأَسَ؛ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَخَافَ عَذَابَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**﴾.)

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في هـذا المعنى في كتاب الفوائد: (فائدة: قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾ [العنكبوت: ٦٩].

عَلَّقَ سـبحانَه الهدايةَ بالجهادِ؛ فأكملُ الناسِ هدايةً أعظمُهم جهادًا، وأفرضُ الجهادِ جهادُ النفس وجهادُ الهوى وجهادُ الشيطان وجهادُ الدُّنيا؛ فمنْ جاهدَ هذه الأربعةَ في الله هداه الله سُـبلَ رضـاهُ الموصـلة إلى جنَّتِهِ، ومن تركَ الجهادَ فاتَهُ من الهُدى بحسب ما عطَّلَ من الجهاد.

قال الجنيدُ: والذين جاهدوا أهواءَهم فينا بالتوبةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الإخلاص.

ولا يتمكَّنُ من جهادِ عدوِّهِ في الظاهرِ إلَّا من جاهدَ هذه الأعداءَ باطنًا؛ فمن نُصِر عليها نُصِرَ على عَدُوِّهِ، ومن نُصِرَتْ عليه نُصِرَ عليه عدُوُّهُ.)

ومجاهدة النفس والشـياطين في ذات الله بالاسـتقامة ولزوم طاعته باب من أبواب الجهاد في سـبيل الله كما بيَّن ذلك الإمام ابن القيم بقوله في زاد المعاد في هدي خير العباد: (إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالْجِهَادُ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ: جِهَادُ النَّفْسِ، وَجِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادُ الْكُفَّارِ، وَجِهَادُ الْمُنَافِقِينَ.

فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ، فَإِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الْعَالِمَ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى رَبَّانِيًّا حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ وَعَلَّمَ فَذَاكَ يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

وَأَمَّا جِهَادُ الشَّيْطَانِ فَمَرْتَبَتَانِ، إِحْدَاهُمَا: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَى الْعَبْدِ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الْقَادِحَةِ فِي الْإِيمَانِ.

الثَّانِيَةُ: جِهَادُهُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ الْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالشَّهَوَاتِ، فَالْجِهَادُ الْأَوَّلُ يَكُونُ بَعْدَهُ الْيَقِينُ، وَالثَّانِي: يَكُونُ بَعْدَهُ الصَّبْرُ. قَالَ تَعَالَى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾** [السجدة: ٢٤]، فَأَخْبَرَ أَنَّ إِمَامَةَ الدِّينِ إِنَّمَا تُنَالُ بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ، فَالصَّبْرُ يَدْفَعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِرَادَاتِ الْفَاسِدَةَ، وَالْيَقِينُ يَدْفَعُ الشُّكُوكَ وَالشُّبُهَاتِ..)

ومن لطائف التدبر في هذه الآية أن الله ختم بها سورة العنكبوت التي ابتدأها ربنا بقوله: **﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** [العنكبوت: ١ - ٣]، ليبين للعباد أن المجاهدة في ذات الله هي السبيل الوحيد للنجاة من فتن السراء والضراء والنعمة والبلاء..

فالسعيد من العباد من وَطَّنَ نفسه على المجاهدة في ذات الله والاستقامة على شرعه في السراء والضراء والنعمة والبلاء فيدخل في معية الله وصحبته وفي عباد الله المهتدين المحسنين في الدنيا والآخرة "الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ويتصلوا به..

الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا.. الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس.. الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب"..

أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع إيمانهم، ولن ينسى جهادهم.. إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم.. وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم.. وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم. وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء: ﴿**وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

في ظلال القرآن.

هذا ما أردت أن أسطره في هذه الرسائل من وقفات ونصائح ونفحات تسلية وتثبيتا لنفسي ولأحبابي ولكل مبتلى ومصاب من المسلمين فما كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه برآء.

وأسأل الله إن كان ما سطرته في هذه الصفحات صوابا أن يجعله من صالح عملي في الدنيا والآخرة وأن يجعل له قبولا وأن ينشره وإن كان خطأً فأسأل الله أن يسددنا ويفهمنا ويصوبنا.

ربنا ثبتنا، وأحينا لدينك، واختم لنا بخير الشهادة في سبيلك، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

كتبه:

سامي بن محمود العريدي –عفا الله عنه–

ربيع الأول من عام ١٤٤٥هـ